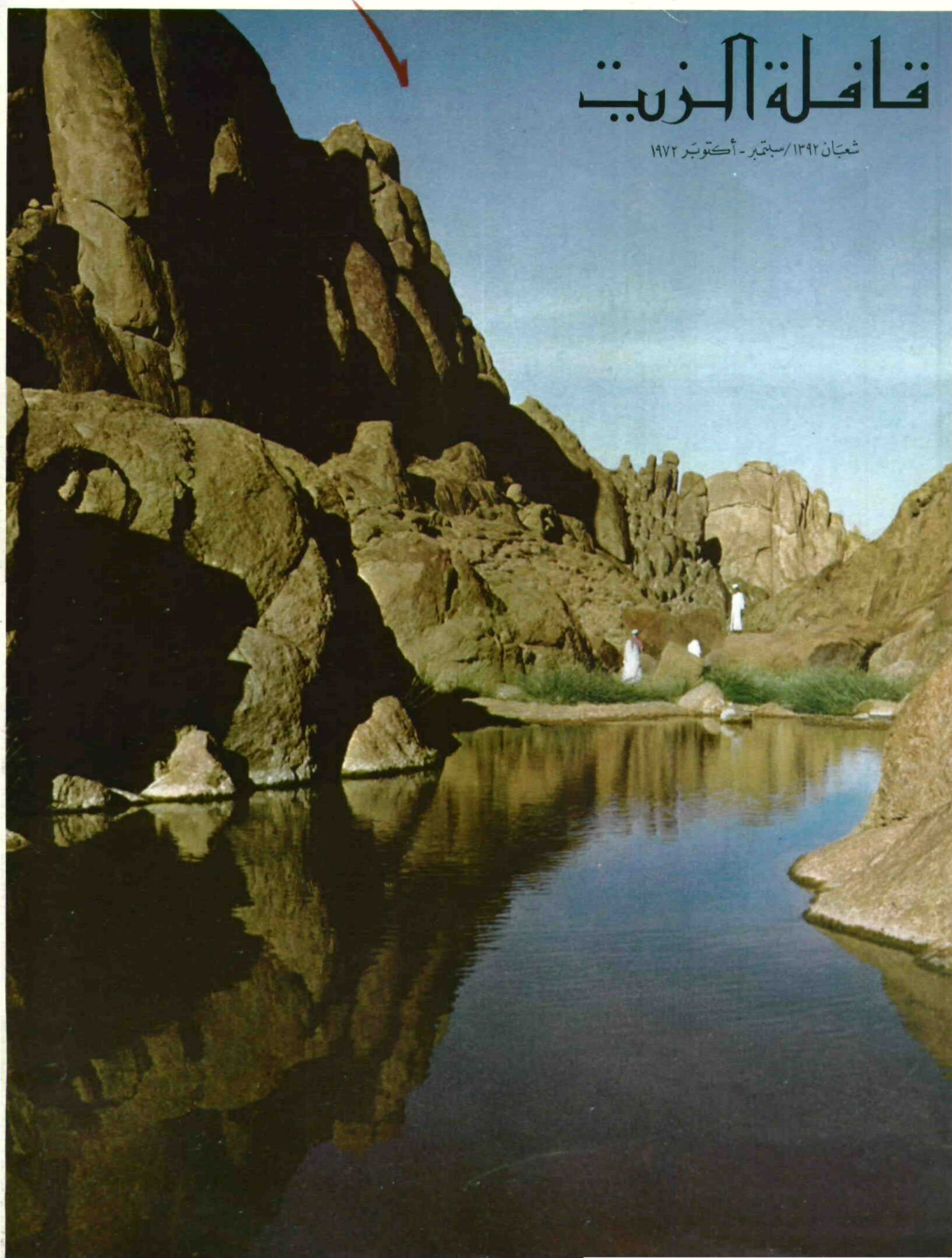

قافلة الزيت
شعبان ١٣٩٢/سبتمبر - أكتوبر ١٩٧٢



أينما تذهب في قرى حائل تجد أشجار النخيل تشق عنان السماء والأرض قد فرشت بالبساط الأخضر. راجع مقال: حائل، حاضرة بلاد شمر.

تصوير: علي محمد خليفة

بسم الله الرحمن الرحيم

قافلة الزيت

العدد السابع المجلد العشرون

تصدر شهرياً عن شركة الزيت العربية الأمريكية لموظفيها
ادارة العلاقات العامة - توزع مجاناً

العنوان : صندوق البريد رقم ١٣٨٩ - الظهران - المملكة العربية السعودية

محتويات العدد

آداب

علوم

استطلاعات

المدير العام: فيصل محمد البسام المدير المسؤول: عبد الله صالح جمعة
رئيس التحرير: منصور مدني المحرر المساعد: عوني ابو كشك

التعليق على صورة الغلاف

بعد هطول الامطار تمتلىء الشعــاب بمياه السيول فتزداد الأرض جمالا والطبيعة بهــاء .
راجع مقال : حائل ، حاضرة بلاد شمر .
تصوير : علي محمد خليفة

شركة مطابع المطوع - الدمام - المملكة العربية السعودية AL-MUTAWA PRESS CO. DAMMAM, SAUDI ARABIA


نمو الحركة الفكرية في المملكة العربية السعودية
ومواكبتها لتطور التعليم

الحركة الفكرية كوسيلة فعالة في دعم التعليم الأكاديمي أمر لا يختلف فيه اثنان. ويعتمد تطور الفكر على حركة التأليف والنشر بوسائلها المختلفة. فالصحف والكتب والمتاحف والمعارض والإذاعة والمرناء (التلفزيون) كلها أدوات فعالة في نشر التطور الفكري. وهي منذ كانت تعتبر المؤشر الحقيقي لازدهار الحركة الفكرية في بلد من البلدان أو انحطاطها، فكلما نمت وترعرعت كان ذلك دليلاً واضحا على نمو التعليم وتطور الفكر.

والحركة الفكرية بصفة عامة في المملكة العربية السعودية مرت بأدوار عديدة. لكل منها خصائصه وأبعاده. وفي هذا البحث عرض سريع لركائز هذه الحركة منذ وجدت في شبه الجزيرة العربية حتى وقتنا هذا ...

بقلم الاستاذ عبد القدوس الانصاري

استعراض لتاريخ الصحافة في هذه البلاد

إن الصحافة من حيث العموم كوسيلة هادفة لتطوير الحركة الفكرية قد عرف القدامى من البشر مزاياها، وبرسائلهم المحدودة أنشئت أول جريدة في العالم، كما يذكر المؤرخون، باسم « باكين بان » في سنة ٩١١ قبل الميلاد، وكانت هذه الصحيفة رسمية لحكومة الصين، وأول جريدة ظهرت في أوروبا « الأعمال اليومية » في رومة، بأواسط القرن الأول للمسيح. وأول مجلة علمية صدرت بعد انتشار الطباعة: « مجلة العلماء » صدرت في أوربا عام ١٦٦٥م (١٠٧٦هـ)، وأول جريدة عربية هي المنشأة في عام ١٧٩٩م (١١١٤هـ).. أنشأها نابليون في القاهرة، وفي السلطنة العثمانية كانت أول جريدة «بريد أزمير» الفرنسية سنة ١٨٢٥م (١٢٤١هـ). (١)

أما في هذه البلاد.. فان أول مجلة (دورية) صدرت فيها فهي: « حجاز ولايتي سالنامه سي » التركية العربية، وكان أول جزء صدر منها في سنة ١٣٠٠هـ (١٨٨٢ – ١٨٨٣م)، وقد صدرت في مكة المكرمة. ويتراءى لي انه صدرت بعدها صحيفة «حجاز» التركية أيضا، الناطقة بلسان الدولة الحاكمة يومئذ.. وبصرف النظر عن الاختلاف الواقع بين المؤرخين في تاريخ صدورها، أهو بسنة ١٣٠١هـ (١٨٨٣ – ١٨٨٤م) أم بسنة ١٣٢٦هـ (١٩٠٨م) فانه ليلوح لي ترجيح الرأي الأول، وذلك لأن سنتي ١٣٠٠هـ و ١٣٠١هـ كانتا من سنوات الاصلاح العثماني في مكة، وخاصة على يد الوالي الفريق عثمان باشا نوري، ثم أعاد حزب « الاتحاد والترقي » الذي تولى زمام أمور الدولة العثمانية اصدارها في سنة ١٣٢٦. (٢)

وبعد صحيفة «حجاز» صدرت في العهد العثماني أربع صحف: « شمس الحقيقة » التي صدرت بمكة المكرمة سنة ١٩٠٩م (١٣٢٧هـ) و « صفا الحجاز » بمكة المكرمة أيضا في نفس العام، وجريدة « الحجاز » العربية في المدينة المنورة بسنة ١٣٣٤هـ (١٩١٦م)، و « المدينة المنورة » في ذلك العهد أيضا.

وفي عهد الحكومة الهاشمية صدرت ثلاث صحف: « القبلة » بمكة المكرمة سنة ١٣٣٤هـ (١٩١٦م)، وجريدة « الفلاح » بمكة المكرمة سنة ١٣٣٨هـ (١٩٢٠م)، و « بريد الحجاز » في جدة سنة ١٣٤٣هـ (١٩٢٤م)، ومجلة واحدة بمكة المكرمة هي: « مجلة مدرسة جرول الزراعية ».

وفي العهد السعودي المديد، ازداد شأن الصحافة علُواً، واتسع شأوها الى مدى بعيد. فصدرت « أم القرى » بديلة « القبلة » في مكة المكرمة سنة ١٣٤٣هـ (١٩٢٤م)، و « صوت الحجاز » بمكة المكرمة سنة ١٣٥٠هـ (١٩٣٢م) ومجلة « الاصلاح » بمكة المكرمة سنة ١٣٤٧هـ (١٩٢٨م). ومجلة « المنهل » بالمدينة سنة ١٣٥٥هـ (١٩٣٧) وجريدة «المدينة المنورة» بالمدينة سنة ١٣٥٦هـ (١٩٣٧م) ومجلة « النداء الاسلامي » بمكة سنة ١٣٥٦هـ (١٩٣٧)م ومجلة « الحج » سنة ١٣٦٦هـ (١٩٤٥م) بمكة. ومجلة «اليمامة» بالرياض سنة ١٣٧٤هـ (١٩٥٣م) و « قافلة الزيت » الشهرية سنة ١٣٧٣هـ (١٩٥٣م)، و « قافلة الزيت » الأسبوعية، وكلتاهما صدرتا بالظهران، وفي سنة ١٣٧٣هـ (١٩٥٣م) صدرت مجلة « الرياض » بجدة. وفي عام ١٣٧٤هـ (١٩٥٤م) صدرت « مجلة وزارة الزراعة ». وفي العام نفسه صدرت « مجلة الفجر الجديد » بالمنطقة الشرقية من المملكة. وفي العام نفسه صدرت صحيفة « أخبار الظهران » بنفس المنطقة. وفي عام ١٣٧٥هـ (١٩٥٥م) صدرت مجلة « الاذاعة السعودية » بجدة، وفي العام ذاته صدرت مجلة « الاشعاع » بمدينة الخبر، وجريدة « الخليج العربي » بالخبر. وفي عام ١٣٧٦هـ (١٩٥٥ – ١٩٥٦م) صدرت صحيفة « الأضواء » بمدينة جدة، وجريدة « حراء » بمكة. وفي عام ١٣٧٧هـ (١٩٥٨م) صدرت جريدة « الندوة » بمكة المكرمة، و « عرفات » فيها، وجريدة « القصيم » ببريدة، ومجلة « المعرفة » بالرياض، ومجلة « الجزيرة » بالرياض، وجريدة « عكاظ » بجدة، ومجلة « راية الاسلام» بالرياض، وصدرت جريدة « الرياضة » بمكة المكرمة في عام ١٣٨٠هـ (١٩٦٠م)، وصدرت مجلة « الأسبوع التجاري» بجدة في سنة ١٣٨٢هـ (١٩٦٢م).

وفي سنة ١٣٨٣هـ (١٩٦٣م) دخلت الصحافة السعودية اليومية والأسبوعية مرحلة جديدة هي مرحلة انشاء مؤسسات لها تدير شؤونها الادارية والتحريرية، وقد صدر « نظام المؤسسات الصحفية » من وزارة الاعلام السعودية، فصدرت الصحف على ضوئه وفي ظلاله، واندمج بعضها في بعض: جريدة « البلاد » صدرت عن مؤسسة البلاد الصحفية، وكذلك جريدة « المدينة المنورة » عن مؤسستها الصحفية، واختفت جريدة حراء وجريدة عرفات من الوجود بسبب هذا الاندماج، وحلت عكاظ ذات المؤسسة محل عكاظ الفردية الصدور. وكذلك صدرت جريدتا « الرياض » و «الدعوة». وفي عام ١٣٨٥هـ (١٩٦٥م) صدرت جريدة « اليوم » الأسبوعية بالمنطقة الشرقية في ظل هذا النظام.

وعن غير نظام المؤسسات صدرت مجلة « رابطة العالم الاسلامي » الشهرية بمكة المكرمة في سنة ١٣٨٥هـ (١٩٦٥م). ومجلة « الادارة العامة » ومجلات خمس للغرف التجارية بالمملكة، كما صدرت مجلة « العرب » في سنة ١٣٨٦هـ (١٩٦٦م) عن غير نظام المؤسسات. وصدرت جريدة « أخبار العالم الاسلامي » بمكة المكرمة سنة ١٣٨٦هـ (١٩٦٦م)، ومجلة « كلمة الحق » في جدة سنة ١٣٨٧هـ (١٩٦٧م) ومجلة «الرياضي» بالرياض سنة ١٣٨٨هـ (١٩٦٨م).

وبعد، فذلك هو مجمل لكافة الصحف والمجلات التي رأت النور، وأرته في هذه البلاد

(١) تاريخ الصحافة العربية لفيليب دي طراز. (٢) روى ذلك المؤرخ الثقة الأستاذ رشدي ملحس رحمه الله، وقد أقام ردحا من الزمن في الأستانة شارك في أحداث السياسة بها.

منذ عام ١٣٠٠هـ (١٨٨٢م)، حتى عامنا الحالي الواقع في أواخر القرن الرابع عشر الهجري، وأخريات القرن العشرين الميلادي، أي منذ قرابة مائة عام. وجدير بالذكر أن مجموع الصحف اليومية والأسبوعية والشهرية والدورية مع النشرات المدرسية والتجارية وغيرها يربو على المائة .. كان للعهد السعودي الحاضر نصيب الأسد منها، ولا سيما في السبعينات وما بعدها من هذا القرن الهجري الذي نعيش في أواخر أعوامه.

أما التأليف وما اليه فعنه أذكر أني كنت قد نشرت بالكتاب الفضي للمنهل بمناسبة دخوله في العام الخامس والعشرين من عمره المديد «شبه احصاء» لما تم تأليفه من الكتب. وقد أحصى البيان أهم الكتب التي ظهرت في عالم النشر في المملكة العربية السعودية منذ عام ١٣٤٤هـ (١٩٢٥م) حتى سنة ١٣٨٠هـ (١٩٦٠م) وقد رتب الاحصاء ذلك بالحروف الأبجدية، فكان محصول ما نشر تقريبا هو (٢٠٥) كتب في الأدب والتاريخ والدين واللغة والنحو وشؤون أخرى اجتماعية وغيرها. وبدهي أن ذلك المقدار من الكتب قد ازداد كثيرا في السنوات الاثنتي عشرة التي مرت بعد صدور الكتاب المذكور .. فلا غرو أن تبلغ الكتب المؤلفة والمنشورة في المملكة العربية السعودية عامة نحو أربعمائة كتاب، وذلك بالنظر لما هو ملموس من اتساع نشاط هذه الحركة النشرية التأليفية بسبب ازدهار العلم والتعليم في شتى مجالات الحياة ومرافقها في المملكة العربية السعودية.

استعراض لتطورات الأفكار الأخرى

وبودنا — أن نورد — بالمناسبة إلمامة وجيزة عن «أوليات» حركة الطبع والنشر للكتب في بلادنا منذ قرابة مائة عام .. فقد أورد لنا الدكتور عبد الرحمن الشامخ في كتابه «الصحافة في الحجاز» قائمة بأسماء الكتب المنشورة بمطبعتي الولاية والماجدية بمكة المكرمة في أوائل هذا القرن الهجري، فبلغت خمسة وثلاثين كتابا دينيا، وعشرة كتب في التاريخ الاسلامي والطب الاسلامي والنحو والصرف والمعاني واللغة ونحو ذلك .. ولم يكن بين مجموع هذه الكتب ما ألفه أحد أبناء هذه البلاد سوى ثلاثة كتب في التاريخ والسيرة النبوية .. والباقي كله كتب قديمة نشرت هنا في كلتا المطبعتين لأول مرة ..

والترجمة، التي هي بمعنى «التعريب»، جزء من عالم التأليف والنشر. وللترجمة أثرها الايجابي الفعال أيضا في نماء الحركة الفكرية. والواقع انه على الترجمة هذه بنيت أعمدة عملاقة من الحضارة البشرية. فمدنيات قبل التاريخ عريقة في القدم اقتبست من بعضها نموها وتقدمها .. ومدنيات بعد التاريخ سارت على هذا الدرب في نموها وتطورها .. وهذه حضارة الغرب الحديثة التي يتفيأ العالم ظلالها اليوم هي وليدة الترجمة .. ترجمت عن حضارة الاسلام وحضارة العرب، الكثير من مقوماتها وعلومها وآدابها، مما اكتشف ومما لم يكتشف بعد. وفي كتاب: «شمس العرب تسطع على الغرب» لمؤلفته الألمانية المستشرقة «زيغريد هونكه» براهين ساطعة على ما نقول من هذه الناحية.

وقد أفادتنا (المترجمات) عن الغرب الى لغتنا العربية، كثيرا في توسعة مداركنا، وادراكنا لأمور حيوية وأدبية لم نكن ندركها من قبل.

بيد أن مما يلاحظه دارس تاريخ الحركة الفكرية الحديثة لدينا أن فن الترجمة لا يزال ضئيل الأثر، لأنه لا يزال ضئيل الكيان، فلم ينشأ عندنا بعد، علماء أدباء كبار متضلعون في اللغة العربية تضلعهم في اللغات الأجنبية، وان وجد بعضهم فان آثاره اما أن تكون لم تظهر في عالم النشر بعد، واما أن يكون هو قد صرفته عوامل الحياة عن هذا الانتاج ..

والمكتبات ثلاثة أقسام: «مكتبات تجارية» تعرض بيع الكتب للراغبين فيها. «ومكتبات عامة» تسمح للمطالعين بالاستفادة من الكتب التي في خزانتها مجانا وبترحيب. و«مكتبات خاصة» للأفراد، للافادة منها في مطالعاتهم وبحوثهم الخاصة.

وكل أصناف هذه المكتبات موجودة عندنا، وكانت المكتبات التجارية في أوائل هذا القرن الهجري منتشرة عند بابي السلام في مكة المكرمة والمدينة المنورة، وكانت قبل الثلاثينات من هذا القرن الهجري «دينية الطابع» تعرض في الدكاكين لتباع على الحجاج والزوار وطلاب العلم في الحرمين. وفي أيام النهضة أي في أواسط الأربعينات خطت المكتبات التجارية خطوة حديثة. وكان أول مكتبة من هذا النوع «المكتبة الحجازية» التي أنشأها الشيخ محمد سرور الصبان رحمه الله بمكة المكرمة وجعل منها مرتادا للشباب في مكة، ومكتبة المرحوم يوسف خلاوي في المدينة بباب السلام حيث كانت هي أيضا مرتادا لشباب المدينة المتطلعين. ثم اتسعت دائرة المكتبات التجارية واتسعت دائرة جلب الكتب الحديثة بتقدم وعي الشباب بما فتح لهم من المدارس في أوائل الخمسينات.

وبذلك اشرأبت الأعناق الى الكتابة وامتدت الأقلام الى منابر التطور الفكري على قدر محدود، بقدر ما استقته أو تستقيه من الكتب الجديدة الوافدة.

وفي الستينات وما بعدها من هذا القرن الهجري ازدادت شجرة المعرفة نموا وانتشارا، وازداد الاتصال بكتب الأدب والعلم الحديثة، فوفدت الينا من كل جانب، واتصل فريق كبير من شبابنا بعالمها الحديث مباشرة في بعثاتهم الخارجية.

و«المتاحف» و«المعارض» تشبه الى حد كبير النشر والتأليف، وتربو عليهما في أنها تجعل من المقروء والغائب حاضرا ملموسا ومشاهدا بالعين المبصرة. «المتحف» تاريخ بشري وحيواني وجمادي ونباتي مبصر وملموس ومشاهد .. والمعرض متحف حديث لمدونات العلم ومنتجاته وآثاره الصناعية والتجارية، و«المتحف» معرض تاريخي تراه ماثلا أمامك، فتشاهد عبره أشخاص الأمم الخالية وآثارهم .. ومن هذه الناحية يتأكد أن المتحف والمعرض ذوا أثر بليغ وفعال في تطور الفكر .. فقد رأينا في المعارض التجارية والصناعية ما كنا نتخيله بمداركنا من قبل، ولم نكن بمستطيعين استيعاب أبعاده فعلا بحواسنا .. فلما شاهدنا هذه الأبعاد في المعارض والمتاحف المقامة لدينا، استوعبنا الكثير من دقائق العلوم وأسرار الصناعات والتجارات التي أقيم المعرض أو المتحف لاماطة اللثام عن حقائقها المزوية عنا وأبعادها المطوية وكيانها وتفاعلها الخافي علينا. ومن المتاحف لدينا — مثلا — متحف التاريخ القديم العائد لجمعية التاريخ والآثار بجامعة الرياض. ومن المعارض ما تقيمه بعض الدول الصناعية في بلادنا وما أقامته وتقيمه دولتنا في كثير من بلدان العالم وحاز الاعجاب والفخار.

وخلاصة القول أن هذا الفيض المتنامي من ركائز تطور الفكر قد أثمر أشياء لا يستهان بها من دعم التعليم العالي الأكاديمي، فوجدت ثلاث جامعات عالية في المملكة بالرياض والمدينة المنورة وجدة بالاضافة الى المعاهد العلمية والدينية، وأصبح لدينا الأطباء ودكاترة العلم ودهاقنة الحقوق وكبار رجال التاريخ والآداب والادارة والفنون ■

عبد القدوس الانصاري — جدة

في غبار السنين

للشاعر طاهر زمخشري

في غبار السنين فوق المآقي   ضاع ما قد ذرفتُ من أعماقي
والحكايات لا تزال على سمعي ، وان الرواة في الأحداق
نسي الحسن أنه بأنيني   واشتياقي اليه شدّ وثاقي
وأناجي الانسان فيه بعين   هو فيها الانسان بالاشراق
هو في خاطري ، ومسرح أحلا   مي ، ونبض الحياة في الأعراق
لا أراه الا بهمسة نجوى   أكتفي من فتونها بالتلاقي

* * *

وشراع الهوى تدفّ به الأشواقُ بين الوجوم والأطراق
والسكون المغمور بالآهة الجذ   لى يثير الشجونَ في الخفاق
وعلى رفرف من الألق الراقص عبر الأثير والأوراق
راح صدقُ الإحساس يهتف بالنجوى ويشدو بعُروة الميثاق

* * *

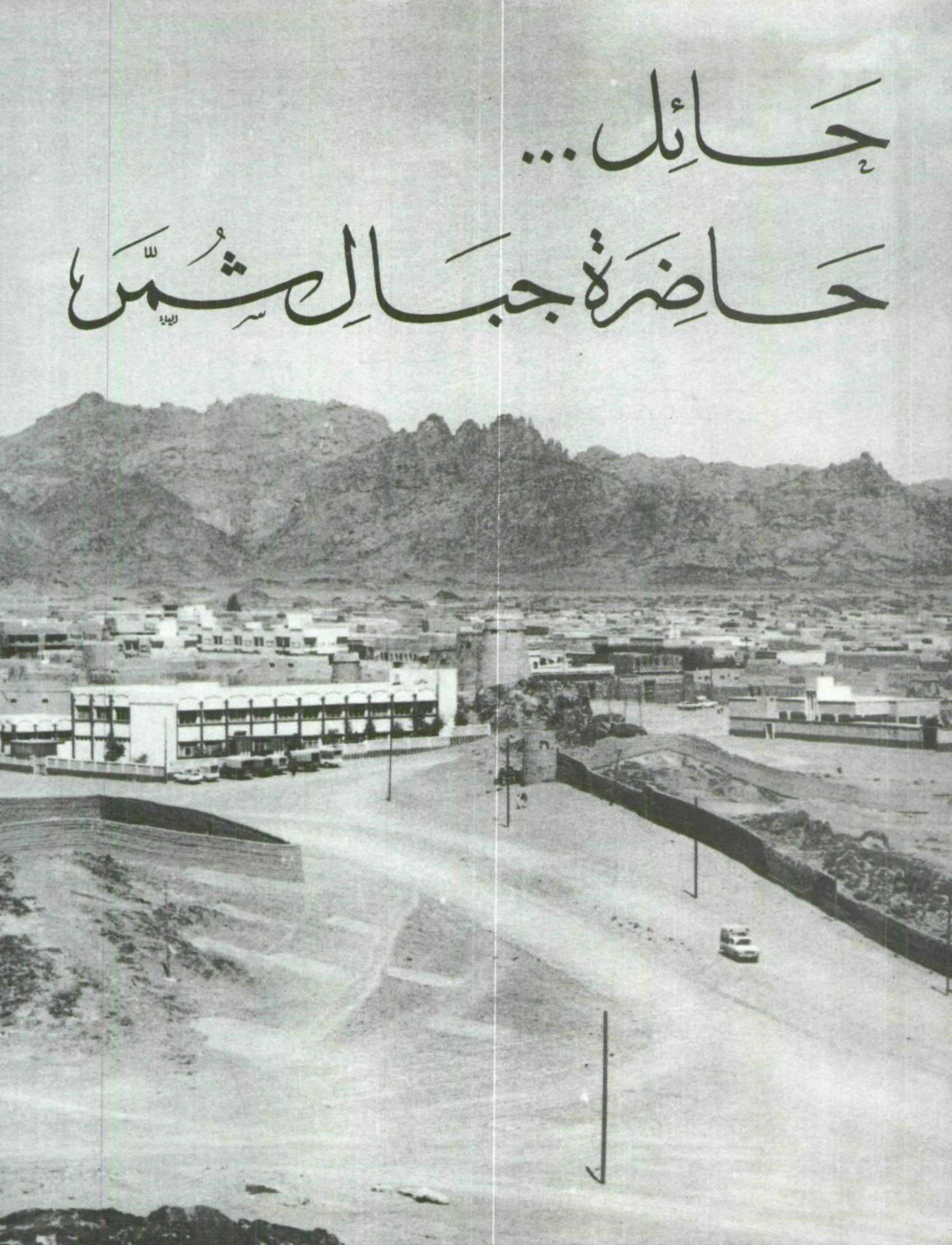
في غبار السنين فوق المآقي   كل ما قد جنيت من اخفاقي
والمتاهاتُ في دروبي ترامت   وأنا فوقها أجرجر ساقي
لا عثاراً فمن جميل اصطباري   واحتمال الجراح أكبر واقي
لا ينال الاعياء مني ، ولا يوهن عزمي ، ولا يحد انطلاقي
في اهابيَ الايمانُ ، ألقَى به الخطبَ سلاحي مكارمُ الأخلاق
والمُنى بالرضا تنير سبيلي   كيف أخشى مغبّة الانزلاق
وحِداة السرى .. مكارم أخلاقي ، وان السماح خير رفاقي
ومن الحب أترع الكأس صفواً   من ينابيع ثرةِ الأغداق
فهي تعطي الهوى العفيف ضمادا   لجراحٍ آلامُها في سباق
فاذا ناحت الجراح وداري   باح رجع الصدى من الآماق

* * *

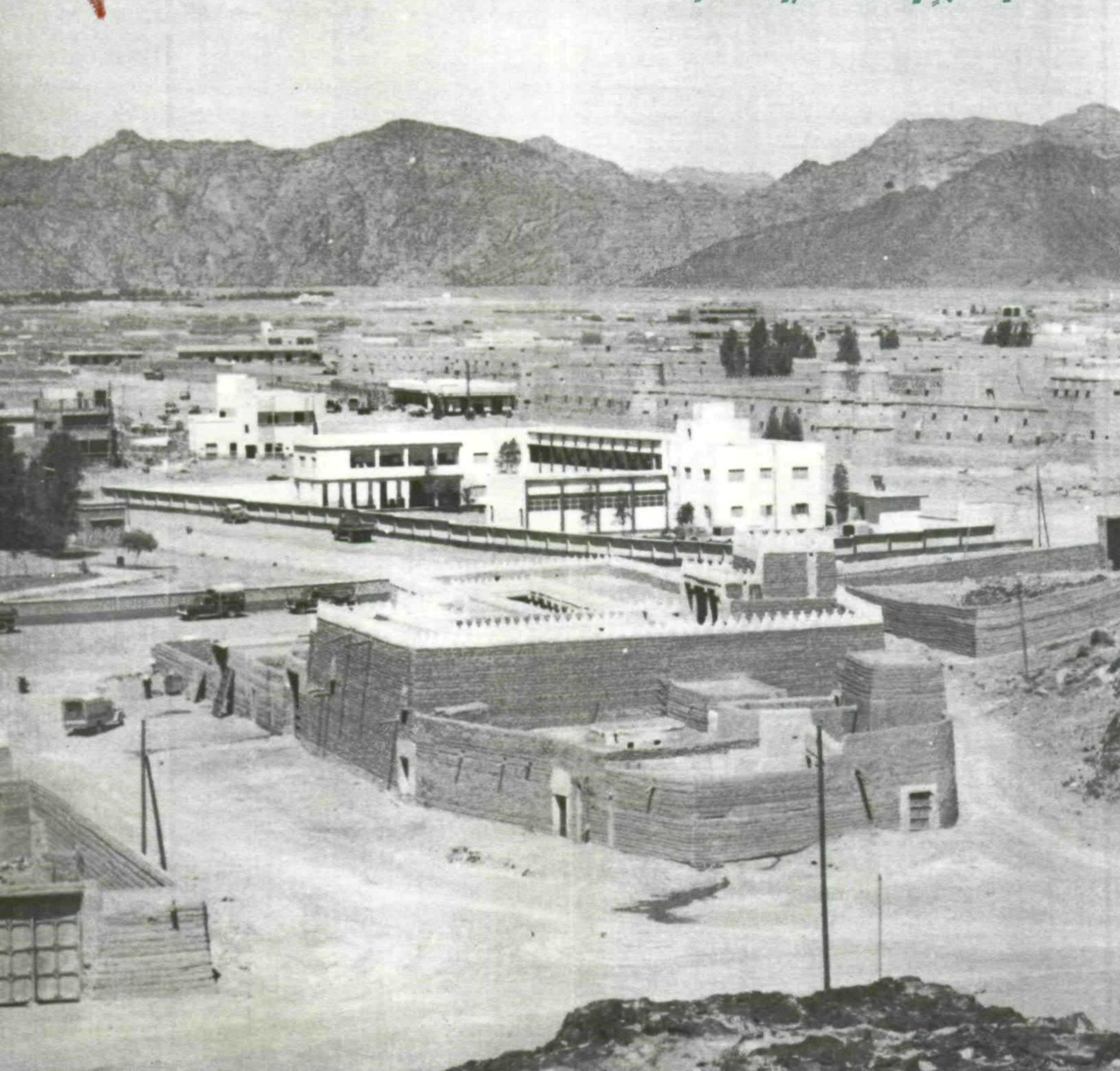
في غبار السنين فوق المآقي   ذوب قلب ينوح مما يلاقي
ضاق من زحمة الشجون فأكدى   وارتمى بين لوعة واحتراق
ويعاني الذي يعاني ويأبَى   أن يقولَ : العذابُ غيرَ مُطاق
فسعير الهوى يذيب الحنايا   ويوارى بين الجفون البواقي
وابتسام الرضا يهدهد حسّي   والرّضا بالعذاب حلو المذاق
فاذا بي الى معارج آمالي أجوب الآماد بالأشواق
وبجنبيّ للمواجع أعصارٌ عنيفُ الارعاد والإبراق
وأنا بالمنى ألَمْلِمُ أتراحي ، وأشدو لفرحتي بالتلاقي

طاهر زمخشري – جدة

حائل... حاضرة جبال شمر



الأمجاد العريقة ، التاريخ الحافل المشرق ، المعالم الأثرية الجليلة ، حكايات الحب الأسطورية ، البطولات النادرة ، ينابيع الأدب الثرة ، السماح والجود ، الجمال الفتان ، الطبيعة الخلابة ، الأرض الخيرة ، الأنسام العليلة ، الجبال الوردية الداكنة ، الأودية الممرعة ، المروج الخضر ، السهول الفيحاء ، مضارب الخيام ومراتع الأنعام ، الماء القراح ينساب في الجداول ، أشجار النخيل كالغيد الحسان ، القطوف الدانية ، الوعول في القنن السامقة ، الطيور المغردة على الأفنان ، النجوم المتلألئة في السماء الصافية الأديم ، كل ذلك تحفل به منطقة حائل التي يطلق عليها الأهالي اسم «إمارة الجبل» والتي تؤلف الجزء الشمالي من نجد في المملكة العربية السعودية .



تعيش وأنت تجوس خلال هذه المنطقة الواسعة مع حـاتم الطائي ، مضرب المثل في الجود ، وعنتر بن شداد العبسي الفارس المغوار ، وامرىء القيس الملك الضليل ، ولبيد بن أبي ربيعة العامري من أصحاب المعلقات ، وبشر بن أبي خازم الأسدي الشاعر ، وأوس ابن حارثة بن لأم الطائي من سادات طيء ، وعبيد ابن الأبرص الأسدي الشاعر ، وعدي بن حاتم الطائي وسفانة بنت حاتم الطائي ، وخالد بن الوليد سيف الله المسلول ، وطليحة بن خويلد الأسدي ، وعكاشة بن محصن الأسدي ، وزبيدة زوج الخليفة العباسي هارون الرشيد ، والحجاج بن يوسف الثقفي ، وكثير غيرهم ، ممن أثروا كتب التاريخ والأدب بفعالهم ووقائعهم ، فأنى حللت تجد من يقول لك مثلا هنا اقتسم حاتم الطائي وعنترة بن شداد الابل التي غنماها اثر غزوة قاما بها معا ، وفي كنف هذا الضلع من الجبل وقعت معركة بين طليحة بن خويلد الأسدي وعكاشة بن محصن ، وفي هذا الريع(١) مر خالد بن الوليد ، وعلى هذه الصخرة ربط زيد ابن مهلهل الطائي فرسه ، وفي هذا الغار نزل الحجاج ابن يوسف الثقفي في طريقه الى مكة المكرمة ، وهنا في جبال « الطوال » ، شمال حائل على حافة النفود رمى « قادي بن فنيدل » من شيوخ شمر وعلا ضخما فهوى مجندلا ، وراح يقول :

يا غـار سيلنا صفاتك من الـدم
يدرج مـن الصفيا لحـد الجثامير
ومن كف « قـادي » للنشامى مقدم
طقه لجد الكوع مع حومـة الطير

ومنطقة حائل شاسعة جدا ، اذ تمتد شمالا حتى تشمل صحراء النفود ذات الرمال الوردية ، وتمتد شرقا وجنوبا الى حرة خيبر ، وتصل الى القصيم من الجهة الجنوبية الغربية . ويمكن القول أن هذه المنطقة تقع على وجه التقريب بين خطي عرض ٢٦,٥ و ٢٩ شمالا و ٣٩,٥ و ٤٣ شرقا . وتمتاز بطبوغرافيتها الفريدة ، ففيها الجبال والأودية والحرار والصحاري والسهول والهضاب ، كلها قـد اجتمعت في تناسق جميل لتضفي عليها طابعا مميزا . وليس من قبيل الصدف أن تعرف هذه الرقعة الخلابة اليوم باسم « امارة الجبل » . ذلك أن جبال طيء ، كانت ولا تزال ، مصدر الخير وينبوع الجمال ، نسج الخيال المجنح حولها أمتع القصص التي لا تزال جنبات الشعاب تردد أصداءها . وهذه الجبال تتألف من سلسلتين متوازيتين تعرف احداهما بأجأ والأخرى بسلمى . وتفصل بين السلسلتين سهول تمتد نحو ٧٠ كيلومترا تتخللها الجبال الصغيرة ، وأهمها من الجنوب الى الشمال ، قنا ، وقني ، والرمان ، وعبد السّبعان ، وركان ، وفتق ، والسمراء ، والعوجاء ، وجانّين ، والجلدية ، والقاعـد . وهناك جبال أخرى تقع الى الجنوب الغربي من سلسلة أجأ منها : حبران ، ومزدات ، والمسمأ ، وعرنان المتاخمة لحرة هتيم المتصلة من الغرب بحرة خيبر . وفي الناحية الجنوبية الشرقية من سلسلة سلمى تنتشر بعض الجبال أهمها : الغميز ، وأبو اللقاح ، والشرثة ، ووحشي ، وقطن .

وتجري في المنطقة أودية عديدة بين صغيرة وكبيرة أهمها وادي « الأديرع » الذي تقع عليه مدينة حائل مقر الأمارة شاقا مجراه بمحاذاة الطرف الشرقي من أجأ ، ويتجه نحو الشمال الشرقي مارا بالبقعاء حيث تغيض مياهه في رمال النفود . وتغذي هذا الوادي السيول التي تنحدر من شعاب أجأ ، ومنها : عقدة ، ومنشار ، والمغوات ، والرصف ، والسلف ، والبار ، وكحلة ، والجفارة ، وبيض ، والشقران . والجدير بالذكر أن هذا الوادي كان يسمى قديما « الديعجان » لأنه كان دائم الجريان . وفي الطرف الغربي من سلمى يجري واد آخر لا يقل أهمية عن وادي « الأديرع » ، وهو وادي « العش » الذي ترفده السيول المنحدرة من شعاب سلمى ، وأهمها : شعيب الحار ، وذوخين ، والشري ، وأكبره ، وريع النعي ، وريع السعود ، ثم يتجه نحو الشمال الشرقي مجتازا العدوة الى أن ينتهي في النفود أيضا . أما حرة هتيم التي تقع الى الجنوب الغربي من حائل فتجري فيها الأودية اثر هطول الأمطار ، ومنها وادي المخارير ، ووادي المرير .

اجأ وسلمى عاشقان

حفلت كتب الأدب وقصائد فحول الشعراء بذكر هذين الجبلين المشهورين ، فكانا دائما وأبدا مصدر إلهام لكثير من الشعراء والفنانين القدامـى والمحدثين ، مرد ذلك لما يتوفر فيهما من مميزات قل أن تجدها في جبال أخرى . اذ تروعك وأنت تقف أمام أجأ أو سلمى تلك التكوينات الصخرية البديعة الأشكال، المتعددة الألوان، فمن قرمزية ، الى رمادية ، الى كريستالية ، الى حمراء داكنة . وقد لعبت عوامل التعرية دورا كبيرا في نحت تلك الأشكال التي يعجز أمهر النحاتين عن الاتيان بمثلها . فهناك ترى أسدا رابضا ، وهناك امرأة ذات قد أهيف ، وفي قمة ذلك الجبل جمل مد عنقه ، الى غير ذلك من الأشكال التي تقف حيالها مشدوها . ولأول وهلة يظن المرء أن تلك الجبال خاوية لا حياة فيها ، وما أن يطوف في شعابها وريعانها حتى تبهره رياضها الغناء وبساتيها الوارفة وعيونها الجاريـة وقطعان المواشي السارحة في مروجها ، فهي عامرة بالقرى آهلة بالسكان .

وفي تسمية الجبلين ذكر الاخباريون العرب أن « أجأ » سمي باسم رجل ، وسمي « سلمى » باسم امرأة . وكان من خبرهما أن رجلا من العماليق يقال لـه أجأ بن عبد الحي عشق امرأة من قومه يقال لها سلمى ، وكانت لها حاضنة يقال لها العوجاء . وكانا يجتمعان في منزلها حتى نذر بهما زوج سلمى وأخوتها وهم : الغميم ، والمضل ، وفدك ، وفائد ، والحدثان . فخافت سلمى وهربت هي وأجأ والعوجاء ، وتبعهم زوجها وأخوتها فلحقوا سلمى على الجبل المسمى سلمى فقتلوها هناك ، فسمي الجبل باسمها . ولحقوا العوجاء على هضبة بين الجبلين فقتلوها هناك فسمي المكان بها ولحقوا أجأ بالجبل المسمى بأجأ فقتلوه فيه فسمي بـه . وأنفوا أن يرجعوا الى قومهم فسار كل واحد الى مكان ، فسمي ذلك المكان باسمه.

وفي جبلي أجأ وسلمى قال العيزار بن الأخفش الطائي :

ألا حي رسم الـدار أصبح باليـا ،
وحي ، وان شاب القذال ، الغوانيا
تحملن من « سلمى » فوجهن بالضحا
الى « أجأ » ، يقطعن بيدا مهاويـا

أما زيد بن مهلهل الطائي فيقول :

جلبنا الخيل مـن أجأ وسلمى
تخب نزائعـا خبب الركـاب
جلبنا كـل طرف أعوجـي
وسلهبـة كخافيـة الغـراب
نسوف للحـزام بمرفقيـهـا
شنون الصلب صماء الكعـاب

وعرفت هذه الجبال قديما بجبال « طيء » نسبة الى قبيلة طيء التي يذكر الاخباريون أنها كانت باليمن . ورأس هذه القبيلة هو طيء(٢) واسمه جلهمة بن أدد بن زيد بن يشجب بن عريب بن زيد ابن كهلان . ولما تفرق بنو سبأ عقب سيل العرم سار طيء نحو تهامة ، ثم وقع هناك بينه وبين عمومته ملاحاة فارقهم على اثرها وسار نحو الحجاز بأهله وماله وتتبع مواقع القطر ، فسمي طيئا لطيه المناهل . وكان لطيء بعير يشرد في كل سنة عن ابله ويغيب ثلاثة أشهر ، ثم يعود اليه وقد عبل وسمن وآثار الخضرة بادية في شدقيه . فقال لابنه عمرو ، تفقد يا بني هذا البعير ، فاذا شرد فاتبع أثره حتى تنظر الى أين ينتهي . فلما كانت أيام الربيع وشرد البعير تبعه على ناقة له ، فلم يزل يقفر أثره حتى سار الى تلك الجبال ، فأقام هناك ، ونظر عمرو الى بلاد واسعة كثيرة المياه والشجر والنخيل والريف ، فرجع الى أبيه وأخبره بذلك ، فسار طيء بابله وولده حتى نزل الجبلين ، فرآهما أرضا لها شأن . ويذكر الأخباريون أن طيئا شاهد شيخا كان مع ابنته يمتلكان جبلي أجأ وسلمى ، وقد ذكرا لطيء أنهما من بقايا صحار(٣) . فقال له طيء : هل لك في مشاركتي اياك في هذا المكان ، فأكون لك مؤنسا وخلا ؟ فقال الشيخ : ان لي في ذلك رأيا ، فأقم فان المكان واسع ، والشجر يانع ، والماء طاهر ، والكلا غامر ، فأقام معه طيء بابله وولده بالجبلين ، فلم يلبث الشيخ وابنته الا قليلا حتى هلكا وخلص المكان لطيء وولده . وقد أوجد الاخباريون هذه القصة تفسيرا لبعض المميزات اللغوية التي امتازت بها لهجة طيء من حيث أنها قريبة من لغة الشيخ الصّحاري .

ومع قلة ما يذكر عن تاريخ قبيلة طيء في الجاهلية الا أنها كانت ذات شأن كبير في تلك الأيام بدليل اطلاق اسمها ، عند بعض الكتاب الكلاسيكيين وعند الفرس والسريان ، على جميع العرب . فقصد بكلمة « طيايا – Tayaya » العرب عامة ، لا قبيلة طيء وحدها . ولا يمكن تفسير ذلك الا بأهمية الشأن الذي كان لها في الجاهلية ، ولا سيما في المناطق التي كانت على اتصال مباشر بالفرس واليونان وبني أرم . وقد كان لبعض رجالها نفوذ كبير حتى أن الفرس اختارو أياس قبيصة(٤) ، وهو من طيء ، لتولي الحكم في الحيرة مرتين .

---

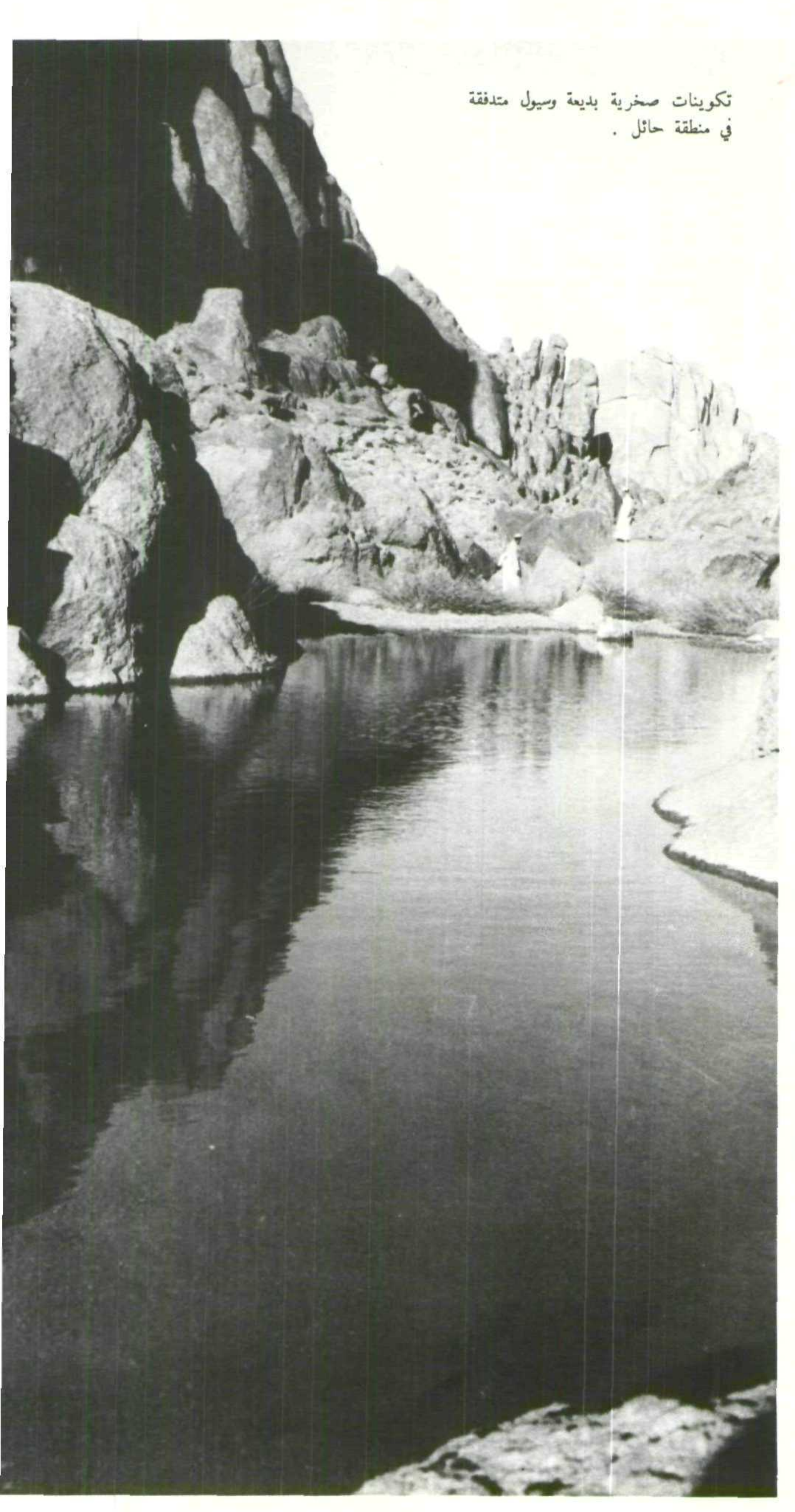
(١) الطريق في الجبل ، أو الجبل نفسه . (٢) معجم البلدان . (٣) قصة عمان مما يلي الجبل . (٤) تاريخ العرب قبل الاسلام لجواد علي

١ – يجري حاليا تمديد خط أنابيب قطره ١٢ بوصة لينقل مياه الشرب الى مدينة حائل من منطقة «الحميمة» التي تقع على بعد ٤٥ كيلومترا عن حائل .

٢ – قائمة الأفاوية والتوابل في أسواق حائل طويلة ، ومنها : « الفلفل الأحمر » و « الكركم » و « الليمون البصري » و « الهيل » و « الشنّة » .







تكوينات صخرية بديعة وسيول متدفقة في منطقة حائل .

وقد وجدت النصرانية الى هذه القبيلة سبيلا حتى أن بعض أفرادها بنوا الأديرة . كما كانت طيء تعبد صنما يدعى « الفلس » قريبا مـن « فيد » حطمه علي بن أبي طالب ، كرم الله وجهه بأمر من النبي ، صلى الله عليه وسلم . ويظهر من الروايات أن الحكام من طيء الواحد منهم يلقب بملك . فقد ذكروا أن عدي ابن حاتم الطائي كان رئيس طيء في أيام الرسول الكريم عليه السلام وكان ملكا عليها يأخذ منها « المرباع ».

وتفرعت من طيء بطون عديدة ، منها بنو شمر نسبة الى شمر بن عبد جذيمة بن ثعلبة بن سلامان ابن ثعل بن عمرو بن الغوث بن طيء . ومنهم قيس ابن شمر الذي ذكره امرؤ القيس ، فقال في قصيدته التي مطلعها :

بكى صاحبي لما رأى الدرب دونه
وأيقن أنـا لاحقان بقيصـرا

الى أن يقول :

فهل أنا ماش بين شوط وحية
وهل أنا لاق حي «قيس بن شمرا»

وشوط هو الآن شعب فيه نخيل يقع غربي أجا تقطنه قبيلة الشلقان من شمر ، وتحف به قنن عالية توجد فيها الوعول . أما حية فهو واد قريب من شوط تقطنه قبيلة السويد من شمر ، ومن هنا أصبحت هذه الجبال تدعى جبال شمر .

حائل مقر إمارة المنطقة

عندمـا قامت « الليدي آن بلنت – Lady Anne Blunt » حفيدة الشاعر الانجليزي الشهير « بيرون – Byron » بزيارة حائل في شتاء عام ١٨٧٩ (١٢٩٧هـ) قالت في كتابها « رحلة الى نجد – Pilgrimage to Najd » لن أنسى الانطباع الذي أخذني حين دخلت مدينة حائل من نظافـة الجدران والشوارع الذي يكاد يعطي جوا خياليا » . وقالت الآنسة « جرترود بل – Gertrude Bell » في مذكراتها التي كتبتها عن رحلتها الى حائل عام ١٩١٣ : « أحمل في نفسي انطباعا عميقا عـن جمال حائل الأخاذ » .

وزار حائل سنة ١٨٤٥م المستشرق الرحالة الفنلندي « جورج أوغست ڤالين » ، الذي اشتهر باسم الشيخ عبد الولي ، وهو أول أوروبي زار هذه المنطقة وأعجب بها أيما اعجاب . وقد سجل ما شاهده في كتاب صدرت ترجمته أخيرا تحت عنوان « صور من شمالي جزيرة العرب في منتصف القرن التاسع عشر » .

وتشير بعض المصادر التاريخية الى أن الاسم « حائل » كان يطلق على الوادي ، أما هي فكانت تعرف في الأصل باسم « القرية » التي يرى بعض المؤرخين أنها هي المشهورة اليوم باسم « عقدة » الواقعة على بعد ٧ كيلومترات غربي حائل . أما المؤرخ « سبرنجر – Springer » فيعتقد أن حائل هي المدينة التي ذكرها « بطليموس » باسم « آركوم – Arrekome » . وقد ورد اسم حائل على ألسنة كثير من الشعراء ، فهذا امرؤ القيس يؤكد ما ذهب اليه بعض المؤرخين ، فيقول :

التعليق الوارد لهذه الصورة غلط ويجب أن يكون كما يلي :
(قلعة عيرف على قمة جبل "عيرف" في الجهة الجنوبية من مدينة حائل)

فدع عنك نهبا صيح في حجراته
ولكن حديثا ما حديث الرواحل
أبت أجأ أن تسلم العام جارها
فمن شاء فلينهض لها من مقاتل
تبيت لبوني بالقرية آمنا
وأسرحها غبا بأكناف حائل
بنو ثعل جيرانها وحماتها
وتمنع من رماة سعد ونائل

وهذا بدوي حطت به النوى في العراق ، فلم يطق صبرا عن حائل الحبيبة فسجل اشتياقه اليها في أبيات قال فيها :

لعمري لنور الأقحوان بحائل
ونور الخزامى في ألاء وعرفج
أحب الينا ، يا حميد بن مالك
من الورد والخيري ودهن البنفسج
وأكل يرابيع وضب وأرنب
أحب الينا من سماني وتدرج
ونص القلاص الصهب تدمي أنوفها
يجبن بنا ما بين قو ومنعج
أحب الينا من سفين بدجلة
ودرب ، متى ما يظلم الليل يرتج

ومدينة حائل التي ترتفع عن مستوى سطح البحر حوالي ٣٥٠٠ قدم تقع في سهل منبسط على بعد ٤ كيلومترات من حافة جبل أجأ الشمالية الشرقية ، وتحيط بها هضاب قليلة الارتفاع من الجهة الشمالية ، والى الشرق من حائل يقوم جبل صغير يدعى « أعيرف » الذي تتربع فوقه « قلعة الزبارة » القديمة التي بنيت في أوائل القرن التاسع عشر ، ومن ورائه ينتصب جبل « سمراء حائل » ، وهو جبل شاهق تقوم على قمته أطلال حصن قديم منيع بني بالحجارة الغرانيتية والجص . ويشرف هذا الجبل الأشم على مدينة حائل ، وقرية الخريمي من الجهة الجنوبية ، وعلى ضاحية « السويفلة » القديمة من الجهة الشمالية . ومن أروع المشاهد التي يمكن أن يحظى بها الانسان وقوفه على أطلال ذلك الحصن قبيل جنوح الشمس الى المغيب مستقبلا النسائم الباردة ، ممتعا ناظريه بالسهول والهضاب والجبال والأودية ، مشاهدا كيف تودع ذكاء تلك الطبيعة الفتانة كل يوم ، فتلقي عليها وشاحا من تبر قبيل أن تختفي وراء قنن جبل أجأ .

ويطلق أبناء حائل على قمة ذلك الجبل اسم « الموقدة » ويزعمون أن حاتما الطائي كان يأمر غلامه أن يوقد النار على تلك القمة ليهتدي بها المسافرون وتجلب له الضيوف ، فكان يقول :

أوقد فان الليل ليل قرّ
والريح يا موقد ريح صرّ
عل يرى نارك من يمرّ
ان جلبت ضيفا فأنت حرّ

وحائل اليوم تشهد حركة عمرانية عارمة ستزداد نشاطا . ولن يمضي طويل وقت حتى يفتتح الطريق المعبد الذي يربط حائل بالقصيم ، ومن ثم بالرياض ، والبالغ طوله ٢٨٠ كيلومترا .

وهناك طرق أخرى ممهدة تسير عليها سيارات النقل ، تربط حائل بالمناطق المجاورة ، منها

قلعة « برزان » على جبل « الأعيرف » في الجهة الشرقية من مدينة حائل .

الطريق الذي يخترق النفود متجها شمالا الى رفحاء على خط الأنابيب عبر البلاد العربية (التابلاين) وطوله ٤٥٠ كيلومترا ، وطريق آخر يتجه جنوبا الى المدينة المنورة ، وطريق ثالث يتجه شمالا شرقا الى الكويت . وقد ساعدت هذه الطرق على ازدهار الحركة التجارية في حائل قديما وحديثا . كما تربط الخطوط الجوية العربية السعودية بجاراتها برحلات منتظمة يومية من حائل واليها .

ان مما يسترعي انتباه الزائر لحائل قصر الأمارة الذي يقف شامخا عند مدخل المدينة مما يلي المطار والذي بناه سمو الأمير عبد العزيز بن مساعد بن جلوي أمير حائل السابق . وهذا القصر يعتبر تحفة فنية رائعة ، وقد شيد عام ١٣٥٧هـ بالطين واللبن ، وتقوم ردهاته على أعمدة من الحجر المصقول المكسو بالجص ، ويمتاز القصر بأبوابه الضخمة المزخرفة ، الزاهية الألوان ، المصنوعة من خشب الاثل . ويحيط بالقصر سور عال تقوم على أركانه « مرابيع » أي أبراج مستديرة ، وتزدان حواف الجدران من أعلى « بزرانيق » جميلة . ويمثل هذا القصر الطراز المعماري العريق المتبع في أبنية حائل خير تمثيل . وفي الجهة المقابلة لقصر الأمارة يقف قصر آخر لا يقل عنه روعة هو « القشلة » . وما أن يجتاز المرء هذين القصرين حتى يجد نفسه في وسط المدينة حيث تقوم المحلات التجارية المكتظة بالسلع والكماليات على اختلاف أنواعها . ومن شارع المطار الرئيسي يتفرع شارع الأمير خالد الذي يتجه غربا ، وقد أخذت ترتفع على جانبيه العمارات الحديثة الضخمة والمطاعم والمحلات التجارية . وعلى مقربة منه شيدت المباني الحكومية الحديثة ، ومنها الأمارة ، وادارات الجوازات والجنسية ، والبريد والبرق ، والشرطة ، وغيرها .

ويتفرع من شارع المطار شارع «الملك فيصل» الذي يتجه شرقا الى أن يفضي الى حي برزان القديم الذي يقوم فيه سوق « برزان » المشهور . وتشتد الحركة في هذه السوق في الصباح الباكر عندما تصلها السيارات المحملة بمحاصيل المنطقة الزراعية من الفواكه والخضار ومنتجات الألبان . وعلى مقربة من هذه السوق يرى الزائر « الجامع الكبير » الذي أسس عام ١٣٠٦هـ ، وهو أقدم مسجد في حائل ، ويقوم على ٢١٠ أعمدة من الحجر المكسو بالجص الناصع البياض . وقد بني تحت هذا الجامع قبو واسع يصلي فيه الناس أيام الشتاء القارس عندما تهبط درجة الحرارة الى ما دون الصفر . ومما يضفي على حي برزان طابعا مميزا وجود الحوانيت الصغيرة التي تباع فيها الحاجيات التي تشتهر بها حائل ، كطنافس الركوب ، والشداد المزخرف والمصنوع من خشب الاثل ، والحداجات ، والمحاحيل « البكرات » الخشبية التي تستعمل على الآبار « القلبان » . وفي « سوق الصناع » نرى الصاغة يهتمون بصنع الحلي التي تتجلى فيها الدقة والمهارة ، ومنها : الرشاش(٥) التي يتألف الواحد منها من دلعة(٦) أو أكثر ، والمرتعشات(٧) المنمنمة التي تصدر عنها وسوسة خافتة مع الحركة وتفضلها البدويات ، والذباحات(٨) ، واللماعات(٩) ، والبناجر(١٠) ، والمجاول(١١) ، والخزارى(١٢) ، والغويشات ، والحجول . أما في سوق « قصرية النهضة » فيشاهد المرء على الجانبين البزازين الذين يتفننون في عرض الأقمشة ذات الألوان الصارخة في الوجهات الأمامية من محلاتهم والتي تجتذب الكثيرات من نساء مدينة حائل والقرى المجاورة ، وخاصة صباح يوم الجمعة من كل أسبوع حيث تنشط حركة البيع والشراء .

ومواكبة للحركة العمرانية وازدياد عدد سكان المدينة قامت وزارة الزراعة في سنة ١٣٩١هـ بتنفيذ مشروع المياه الذي تبلغ تكاليفه نحو اثني عشر مليون ريال فحفرت ثلاث آبار ارتوازية في منطقة « الحمية » في الجهة الشمالية الشرقية من حائل على بعد ٤٢ كيلومترا ، وقامت بتمديد شبكة مياه جديدة وانشاء خزانات ووحدات ضخ لتوصيل المياه الى أحياء حائل . وقد كانت حائل تعتمد قديما على الآبار « القلبان » التي تحفر باليد الى عمق يتراوح بين ثلاثة أمتار وأربعة لتأمين مياه الري . ثم قام الأهالي بتمديد شبكة مياه من عين « سماح » المشهورة ، والتي تمتاز بمياهها المعدنية العذبة . ولما شعرت وزارة الزراعة أن الشبكة القديمة لم تعد تفي بمتطلبات مدينة متطورة كحائل ، قامت عام ١٣٧٩هـ بحفر بئرين ارتوازيتين في سماح وأوصلت مياههما الى خزان ضخم أنشأته على جبل « الشهيبة » غربي حائل ، كما أنشأت شبكة جديدة للمياه . وأخيرا بادرت وزارة الزراعة ، وقد لمست حاجة حائل الماسة الى مزيد من المياه ، بتنفيذ مشروع مياه حائل الذي سينتهي العمل منه قريبا .

وتضم حائل أحياء عديدة ، منها : الربيعية ، والخنقة ، وواسط ، ومغيضة ، والجراد ، ولبدة ، والبزيعي ، والعليا ، وبرزان ، والحديدة ، والشعيب ، وسماح ، والزباره ، والعزيزيه . وأشهر ضواحيها : السويفله في الجهة الشمالية الشرقية ، والنقرة في الجهة الغربية ، وقد أصبحت الأخيرة تزهو ببساتينها ومزارعها الجميلة .

وتتطلع حائل الى انجاز مشاريعها الحيوية في المستقبل القريب ، والتي منها : انشاء مطار حديث يبعد عن المطار الحالي بنحو سبعة كيلومترات جنوبا ، وهو الآن قيد الدراسة والتصميم ، وانشاء مقر حديث للدفاع المدني بالمعدات الحديثة وانشاء مبنى نموذجي للمحكمة الكبرى على غرار مباني وزارة العدل ، وانشاء قصر أمارة المنطقة . وجدير بالذكر أن جهاز أمارة منطقة حائل الاداري يتألف من ٦٧٦ موظفا ومستخدما . كما تتجه النية الى انشاء محطة للبث التلفزيوني في حائل في المستقبل القريب.

ومن الناحية الادارية تحتضن حائل الأمارة المركزية ، ويتبعها امارات فرعية في سميراء ، وموقق ، والعظيم ، والحائط ، وجبه ، وطابه ، وقبه ، والبقعاء ، والسليمي ، والسبعان ، والشملي ، والحفير ، وتربه ، والحليفه ، والكهفه . ومن المتوقع قريبا افتتاح مراكز فرعية أخرى في قرى المنطقة التي يزيد عددها على ٤٠٠ قرية وهجرة .

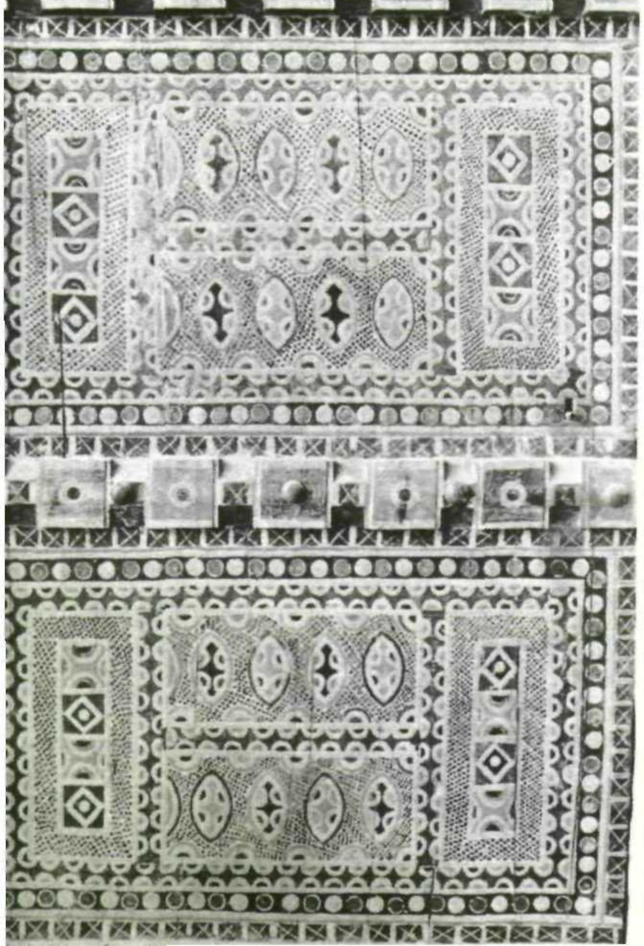
ان نسبة كبيرة من سكان حائل يشتغلون بالتجارة ، وبعضهم يعمل في الصناعات اليدوية ، والبعض الآخر في الزراعة . كما نجد الكثيرين منهم قد انخرطوا في سلك التعليم وفي وظائف الدولة المختلفة . أما سكان القرى والبادية فيشتغلون بالزراعة وتربية الأغنام والماعز والابل . وينتمي سكان المنطقة الى عدة قبائل منها قبيلة شمر ، ولها ثلاثة فروع رئيسية هي : عبده ، والأسلم ، وسنجاره . وتقطن عبده في : الكهيفيه ، والعقله ، وضبيعه ، والخطه ، والودي ، والغار ، والصداعيه ، والمعيقلات ، والبنانه ، والقاعيه ، والقحصيه ، والشعلانيه ، وعريجاء ، والخوير ، والمعترضه ، والهويدي ، وسقف ، والقصه ، وحويان ، وعرفة البنات ، وصحا ، والرضفين ، وبدايع السليط ، وهجرة ابن رفاع . أما الأسلم فتقطن : جبل سلمى وقراه ، وأهمها فيد ، وطبه ، والصفراء ، والبير ، والنعي ، ورك ، والعدوه ، والساقيه ، والجحفه ، وريع تقريب ، والدهمشيه ، وغمره ، والعظيم ، والمكحول ، والشرثه ، والثعيلبي ، والصفوه ، والكهفه ، وابضه ، وسره ، والشبيكه ، وغضور ، والحامريه ، والعوشزية . أما سنجارة فتتبعها القرى والهجر الآتية : الهوه ، والشقيق ، والروض ، وحرمة ، وأبا الحيران ، والصنينه ، والغمياء ، والخبه ، والحطي ، والحفير ، وأم القلبان ، وقنا ، والرطاي ، والمشيطات ، وجبه ، والجبريه ، وقدر ، وتوارن ، وموقق .

وبالاضافة الى قبيلة شمر هناك قبيلة عنزة التي تقطن في قرى : الشعيبه ، والمبياح ، والعماير ، وشبرية الحمراء ، وشبرية الصفراء ، والبياض ، والوهيبيه ، والبلازيه ، والمصع ، والعصعص ، والرفيعه ، والوسيطه ، والشملي ، والحفيره ، وبيضا نثيل ، والفيضه . كما أن بعضا من قبيلة بني تميم قد استقروا في : قفار ، والمستجد ، والغزاله ، والمهاش ، والقصير ، والروضه ، والسبعان ، والجثاميه ، والنيصيه ، واللقيطه ، والسليمي ، وضرغط ، وسميره ، والخوه . هذا وتقطن قبيلة هتيم الحرة المعروفة باسم القبيلة ، وأهم قراها : الحايط ، ضريغط ، والفقي ، والشقه ، والنبوان ، وبعيجه ، والخفج ، والشويمس ، وروض ابن هادي ، والعوشزي ، والوسعة الغريسة ، والبدع ، والبركه ، والشعيله ، والفيضة ، والدوادمي ، والوسيطه ، وأم هشيم ، وسغيط ، والدابيه ، ومصده ، والحويط ، ومراغان ، والمعرش ، والهمجه ، وقنا ، وقني .

الحركة العلمية والفكرية والأدبية

يرجع تاريخ التعليم في حائل الى ما يقرب من قرن من الزمان عندما كانت نخبة من المشايخ من أهل العلم تقوم بتعليم أبناء حائل مبادىء القراءة والكتابة

(٥) جمع رشرش وهو القلادة . (٦) صفة من الزخارف الذهبية . (٧) جمع مرتعشة وهي القلادة . (٨) قلائد على النحر . (٩) نوع من الأساور الرفيعة . (١٠) أساور عريضة . (١١) أساور من الطراز القديم محلاة بفصوص من الياقوت وغيره من الأحجار الكريمة . (١٢) الأقراط .



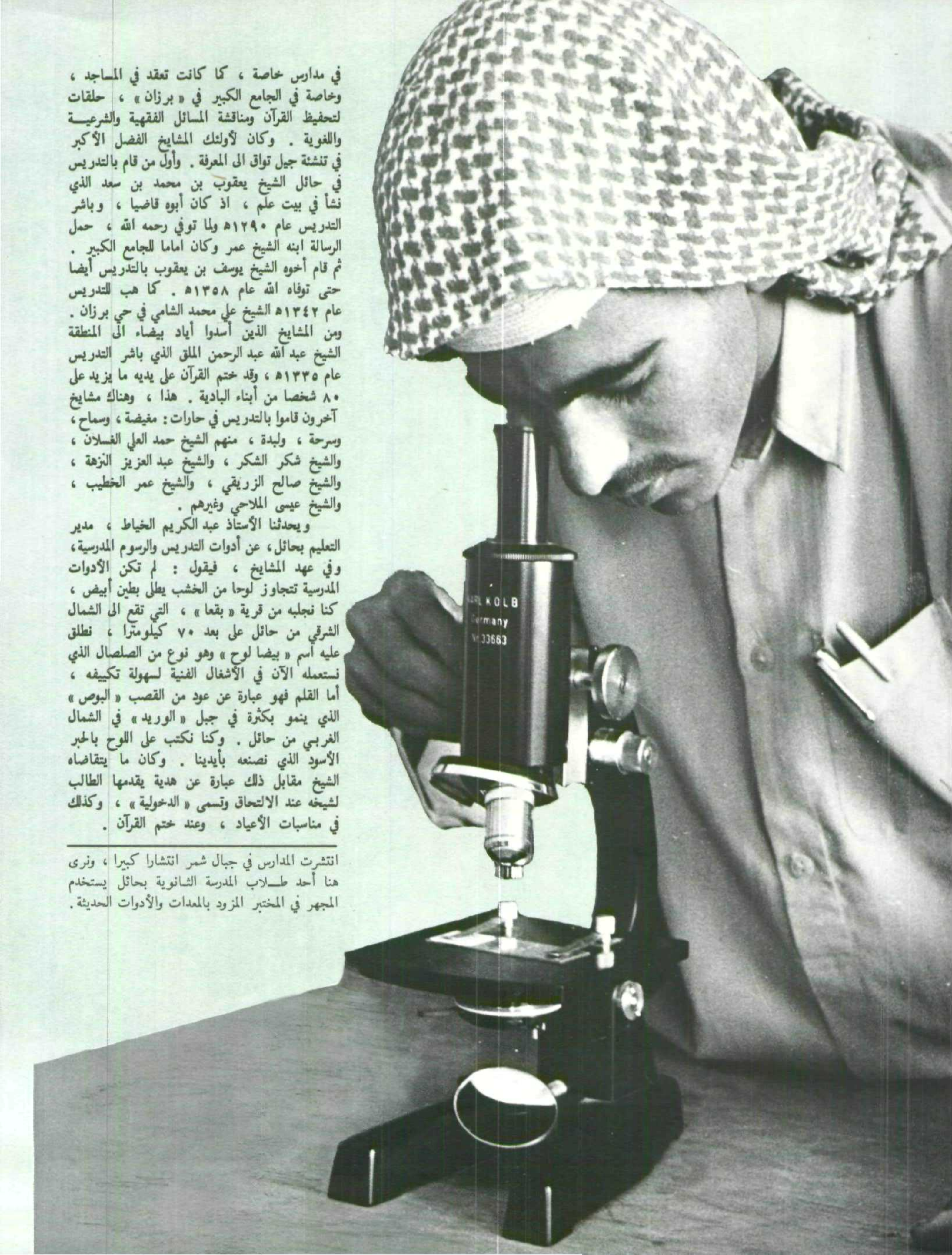


١ – وادي « توارن » الذي تحف به الجبال الشاهقة حيث أقام جواد العرب حاتم الطائي .

٢ – مشتر يتفحص « رشرشا » ذهبيا في أحد محلات الصاغة في سوق « قصرية النهضة » بحائل حيث تباع « الذباحات » « واللماعات » و« البناجر » و « الرشارش » و« المجاول » و« المرتعشات » .

٣ – تزدان أبواب مقصورات قصر الامارة القديم بدقة زخرفتها . ويعتبر القصر أحد معالم مدينة حائل البارزة .





في مدارس خاصة ، كما كانت تعقد في المساجد ، وخاصة في الجامع الكبير في « برزان » ، حلقات لتحفيظ القرآن ومناقشة المسائل الفقهية والشرعية واللغوية . وكان لأولئك المشايخ الفضل الأكبر في تنشئة جيل تواق الى المعرفة . وأول من قام بالتدريس في حائل الشيخ يعقوب بن محمد بن سعد الذي نشأ في بيت علم ، اذ كان أبوه قاضيا ، وباشر التدريس عام ١٢٩٠هـ ولما توفي رحمه الله ، حمل الرسالة ابنه الشيخ عمر وكان اماما للجامع الكبير . ثم قام أخوه الشيخ يوسف بن يعقوب بالتدريس أيضا حتى توفاه الله عام ١٣٥٨هـ . كما هب للتدريس عام ١٣٤٢هـ الشيخ علي محمد الشامي في حي برزان . ومن المشايخ الذين أسدوا أياد بيضاء الى المنطقة الشيخ عبد الله عبد الرحمن الملق الذي باشر التدريس عام ١٣٣٥هـ ، وقد ختم القرآن على يديه ما يزيد على ٨٠ شخصا من أبناء البادية . هذا ، وهناك مشايخ آخرون قاموا بالتدريس في حارات : مغيضة ، وسماح ، وسرحة ، ولبدة ، منهم الشيخ حمد العلي الغسلان ، والشيخ شكر الشكر ، والشيخ عبد العزيز النزهة ، والشيخ صالح الزريقي ، والشيخ عمر الخطيب ، والشيخ عيسى الملاحي وغيرهم .

ويحدثنا الأستاذ عبد الكريم الخياط ، مدير التعليم بحائل، عن أدوات التدريس والرسوم المدرسية، وفي عهد المشايخ ، فيقول : لم تكن الأدوات المدرسية تتجاوز لوحا من الخشب يطلى بطين أبيض ، كنا نجلبه من قرية « بقعا » ، التي تقع الى الشمال الشرقي من حائل على بعد ٧٠ كيلومترا ، نطلق عليه أسم « بيضا لوح » وهو نوع من الصلصال الذي نستعمله الآن في الأشغال الفنية لسهولة تكييفه ، أما القلم فهو عبارة عن عود من القصب « البوص » الذي ينمو بكثرة في جبل « الوريد » في الشمال الغربي من حائل . وكنا نكتب على اللوح بالحبر الأسود الذي نصنعه بأيدينا . وكان ما يتقاضاه الشيخ مقابل ذلك عبارة عن هدية يقدمها الطالب لشيخه عند الالتحاق وتسمى « الدخولية » ، وكذلك في مناسبات الأعياد ، وعند ختم القرآن .

انتشرت المدارس في جبال شمر انتشارا كبيرا ، ونرى هنا أحد طلاب المدرسة الثانوية بحائل يستخدم المجهر في المختبر المزود بالمعدات والأدوات الحديثة .

أما التعليم النظامي بمعناه الحديث فقد بدأ عام ١٣٥٦هـ عندما افتتحت المدرسة السعودية ، وهي أول مدرسة ابتدائية بحائل . ومن ثم أخذت الحكومة توالي افتتاح المدارس الابتدائية في حائل وقرى المنطقة حتى بلغ عددها ٧٢ مدرسة، تضم بين جدرانها ٦٧٦٥ طالبا . وفي عام ١٣٧٣هـ تأسس معهد للمعلمين يلتحق فيه الطالب بعد انهاء المرحلة الابتدائية ، وقد تخرج منه حتى تصفيته عام ١٣٨٧هـ ما يقرب من ٤٦٥ طالبا انخرطوا في سلك التدريس في المنطقة . ويرجع تاريخ تأسيس أول مدرسة متوسطة في حائل الى عام ١٣٧٥ ، ثم ما لبث أن أصبح في المنطقة خمس مدارس متوسطة ، يبلغ عدد الطلاب فيها حاليا ١٠٧٥ طالبا ، وفي عام ١٣٧٨هـ قامت وزارة المعارف بافتتاح مدرسة ثانوية ، وهي تضم الآن ١٦٤ طالبا . وفي العام الدراسي ١٣٩٠/١٣٩١هـ افتتح في حائل معهد ثانوي لاعداد المعلمين يقبل فيه الطالب الحاصل على شهادة الكفاءة ، ومدة الدراسة فيه ثلاث سنوات ، ويبلغ عدد طلابه ١٦٥ طالبا . وبالاضافة الى ذلك افتتحت وزارة المعارف للذين فاتهم ركب التعليم مدارس ليلية تتوفر فيها مراحل التعليم المختلفة ، وهي تضم نحوا من ٣٢٠ طالبا .

أما التعليم الديني في حائل فيوفره المعهد العلمي التابع للرئاسة العامة للكليات والمعاهد العلمية بالرياض . وقد افتتح هذا المعهد عام ١٣٨١هـ وبدأ بحوالي ١٥٠ طالبا ، ويقبل فيه الطالب بعد نيله الشهادة الابتدائية. ويتلقى الطالب مكافأة شهرية قدرها ٢١٠ ريالات تدفع لـه طوال مدة الدراسة في المعهد وتبلغ ست سنوات. ويضم المعهد بين جدرانه ٢٣٠ طالبا في سبعة فصول للعام الدراسي ١٣٩١/١٣٩٢هـ. ولدى المعهد مكتبة أنيقة فيها نحو ألفي كتاب في شتى المعارف والعلوم ، حسنة التنسيق والتبويب ، يرتادهــا الطلاب في أوقات الفراغ .

ويعود تعليم الفتاة في حائل الى عام ١٣٨١هـ عندما افتتحت الرئاسة العامة لتعليم البنات أول مدرسة ابتدائية في حي الجديدة ، ثم أتبعتها فيما بعد بثلاث مدارس ابتدائية في حائل، وخمس مدارس في كل من : الروضة، وفيد، وبقعا، والوسيطاء، والحائط، وقد بلغ عدد الطالبات في هذه المدارس الابتدائية حتى نهاية العام الدراسي ١٣٩١/١٣٩٢هـ حوالي ١٧٧٠ طالبة . وفي سنة ١٣٨٧هـ افتتحت الرئاسة العامة لتعليم البنات معهدا للمعلمات ، وهو يضم الآن ٨٣ طالبة ، كما افتتحت مدرسة متوسطة تضم الآن نحو ٤٠ طالبة . وقد شرع في العام المنصرم في انشاء مدرسة نموذجية ضخمة في مدينة حائل ستضم مراحل التعليم الابتدائي والمتوسط والثانوي . ومن المتوقع أن تنتهي أعمال الانشاء فيها قريبا لتباشر المدرسة رسالتها في العام الدراسي المقبل .

قفار ومركز التنمية الاجتماعية

في سهل منبسط يمتاز بتربة طينية صفراء ناعمة تنتشر بيوت قرية قفار الزراعية التي تقع الى الجنوب الغربي من مدينة حائل على بعد ١٧ كيلومترا . وعلى طول الطريق المؤدية اليها تمتد الحيران(١٣) المسورة بأشجار الاثل الضخمة . وقفار من القرى الجديرة بالمشاهدة ، سيما وأن الأطلال حولها توحي بعراقتها وقدمها . وحولها أنشئت البساتين الغنية بأشجار الحمضيات والعنب ، والخوخ ، والتفاح البلدي ، والنخيل . وقد اختيرت هذه القرية لتحتضن مركز التنمية الاجتماعية الذي أنشأته وزارة العمل والشؤون الاجتماعية عام ١٣٨٢هـ . وقد أسهم هذا المركز بقطاعاتـه الصحية والاجتماعية والزراعيـة والثقافيـة والتعاونية في خدمة المواطنين في جميع المجالات . لا في قفار فحسب، بل في قرى أخرى ، منها : الطويفحة ، والودي ، وقصر العشروات ، والمعيقلات والحميراء ، والنيصية ، واللقيطة ، والجثامية .

ومن معالم قفار الأثرية « قصر غياض » الذي يحيط به سور ضخم من الطين واللبن تداعت بعض أجزائه ، ويبلغ سمك جداره حوالي مترين ، وفي الركن الجنوبي الغربي من السور يقوم برج عال . ومن القصص التي يتناقلها أبناء قفار أن ابراهيم باشا أوفد الى قصر غياض اثنين من رجاله ليدخل القرية سلما ، فكان ان قبض أهل قفار على أحدهما ودفنوه في جدار القصر أثناء عملية بنائه على مرأى من صاحبه ، ففر هذا هاربا وأخبر الباشا بما رآه ، مما حمل ابراهيم باشا على مغادرة القرية . وعلى مقربة من قصر غياض من الجهة الشرقية برج ضخم ذو جدار مزدوج يطلق عليه أهالـــي قفار اسم « قصر البنات » . وقد سمي كذلك لأنه بعد استسلام المدينة اثر هجمة أخرى لابراهيم باشا بقي من في هذا القصر يدافع حتى الرمق الأخير ، ولما دخله الغزاة وجدوا أن فيه بنات كن يدافعن دفاع الأبطال .

الى حيث يرقد حاتم الطائي

قيل لنا ونحن في حائل لا بد وانكم ترغبون في زيارة منازل جواد العرب حاتم طيء . فكان أن اتجهنا شمالا فمررنا بقرية « اللقيطة » ، ثم واصلنا رحلتنا شمالا غربا الى أن دخلنا في واد لا يزيد عرضه على مائتي متر تحف به الجبال الشاهقة ذات الصخور الوردية الملساء الى أن وصلنا «النقبين»، حيث ضاق الوادي وأطلت علينا من سفح الجبل الجنوبي نخيلات كأنها عرائس معلقة تغريك باللجوء اليها وتفيؤ ظلالها. وترتوي هذه الأشجار من السيول التي تنحدر من أعلى الجبل . ويعتبر « النقبين » من أجمل الأمكنة التي يقصدها أبناء المنطقة لقضاء أمتع « القيلات » حيث يتفيأون ظلال النخيل نهارا ، ويفترشون ليلا أرض الوادي المغطاة بالحصباء الوردية الناعمة . وقد سميت هذه البقعة الجميلة بالنقبين لأن الوادي ينتهي بممرين ضيقين أحدهما قليل الارتفاع يسلكه الناس والماشية ، أما الآخر فصعب ارتقاؤه وتنحدر اليه السيول من واد آخر أعلى منه، وتتدفق على صفاة بيضاء فيها حفرة صخرية عمقها أربعة أمتار ذات جدران رخامية ملساء يميل لونها الى الخضرة، وقد صقلتها السيول . وهذا الموضع معروف منذ القدم ، فهذا امرؤ القيس يقول :

خرجنا من « النقبين » لا حي مثلنا
بآياتنـا نـزجـي اللقـاح المطافــلا

وخلفنا النقبين وسرنا في سهول وأودية تكثر فيها أشجار الطلح المزهرة الفواحة ، تسرح بينها قطعان الماعز والضأن ، ثم اجتزنا « مقمز الفرس » ، وهو جبل صغير ، ومن هنا بدت لنا عن كثب رمال النفود الكبير ، التي كانت تعرف قديما « بعالج » . وعرجنا على « قلعة الأزور » الشبيهة بالقبين ، ثم اتجهنا نحو الجنوب الغربي حتى بلغنا « قاع حويم » الذي يزرع برا ترويه السيول . ودخلنا في وادي « توارن » الذي تقف على جانبيه جبال داكنة تتواجد على قممها الوعول (البدن) ، ووقفنا عند أطلال قصر في بطن الوادي أخبرنا الشيخ سعيد بن مبارك بن كبريت ، القاطن هناك ، أن هذا القصر يسمى قصر « الأصفر » جد شمر ، وقد أجلاه حاتم الطائي عن هذا الوادي ، فارتحل عنه ونزل في وادي « الديعجان » . وقصر الأصفر قائم في بطن وادي « توارن » ، ولا تزال بعض جدرانه قائمة . وهو قصر مربع يبلغ طول جداره نحو ٣٠ مترا وسمكه نحو متر ونصف المتر . والجدار مبني بطبقتين من الحجارة المقطوعة من الجبال المحيطة بالوادي من الداخل والخارج وحشي الفراغ فيما بينهما بالطين . وعلى بعد كيلومترين من قصر الأصفر تقوم منازل الشيخ دويلي بن بادي الذي أرانا أطلال قصر حاتم ، وهي عبارة عن رضم سود مصفوفة فوق بعضها البعض الى ارتفاع متر ونصف المتر . وعلى مقربة من أطلال القصر أرانا الشيخ دويلي قبر حاتم وقبر أمه عنبة بنت عفيف ، ويبلغ طول كل قبر منهما حوالي ستة أمتار . والمعروف عن حاتم أنه لم يدرك الاسلام ، ويروى أن ابنته « سفانة » كانت جارية في سبي طيء وأتي بها الى النبي ، صلى الله عليه وسلم ، فسألته أن يمن عليها ، وذكرت لـه جود أبيها ومكارمه في الجاهلية فأجاب النبي سؤالها وقال : « خلوا عنها ، فان أباها كان يحب مكارم الأخلاق، والله يحب مكارم الأخلاق » . وقد أسلمت سفانة وكذلك أسلم أخوها عدي بن حاتم وحسن اسلامهما .

غار جانين

الى الشمال الشرقي من مدينة حائل ، وعلى بعد ٥٠ كيلومترا تقريبا ، يقبع جبل صغير منعزل يتألف من صخور رملية هشة تحيط به القفار الواسعة المغطاة بشجيرات الأرطا ، والعلندي ، والعرفج ، والرمث ، والثمام ، ترعاها الابل والماعز والأغنام ، وتكثر بينها الأرانب البرية والحباري . وقد أممنا نحو ذلك الجبل سالكين طريقا يشق سهولا جلدة تغطيها رقائق سوداء من الحصى ، ومررنا في طريقنا ببئر « عكاش » وهي في الحقيقة واحدة من « قلبان » يحفرها البدو القاطنون هناك الى عمق ٢٠ قدما أو أكثر لسقيا مواشيهم ، وماء بعضها عذب وماء البعض الآخر « هماج »(١٤) .

وصلنا جبل « جانين » والشمس في كبد السماء ، ثم دلفنا الى الغار عبر ممر ضيق في الزاوية الشمالية الشرقية . ويمتد الغار نحو مائة متر ، ويبلغ علوه ٣٠ مترا تقريبا على شكل هرمي مستطيل . وكلما أوغلنا في الغار ازدادت ظلمته ، الا من كوى صغيرة ينبعث

(١٣) جمع حير ، ومعناه بستان . (١٤) مر تشوبه ملوحة .

منها ضوء خافت. ويعتبر هذا الغار احدى المعالم الأثرية العجيبة لغرابة تكوينه. وتزدان جدرانه برسوم كثيرة للوعول والجمال والخيول والكلاب السلوقية والأيدي والأقدام الآدمية والرسوم المختلفة والعلامات الغريبة. وبالاضافة الى تلك الرسوم هناك كتابات هي على الأرجح مزيج من خط المسند والكتابة الصفوية والثمودية وتحتاج الى دراسة لالقاء مزيد من الضوء على تاريخ هذه المنطقة.

وفي عودتنا الى حائل مررنا بجبل «الجليدية» الذي تكثر فيه الذئاب الكاسرة، وفي كنفه ضلعان يستقي البدو من «قلات» في قممهما. ثم وقفنا على «غار عكاش» الذي يبعد نحو كيلومترين الى الشمال من بئر عكاش. والغار عبارة عن صخرة بيضاء ضخمة يميل لونها الى الحمرة والسواد نحتتها يد الطبيعة حتى أصبحت على شكل مظلة مفتوحة أو فطر مفلطح. وتكثر المخربشات على جدران هذا الغار، وكلها كتابات حديثة يخطها من يقصد هذا المكان للترويح عن النفس. والملاحظ أن صخور هذه المنطقة ذات أشكال عجيبة بفعل عوامل التعرية، وهي من الكثرة بمكان ويمكن اعتبارها مصدر ايحاء رحب لذوي الخيال الخصب ينسجون حولها القصص الممتعة. ففي جبل عرنان مثلا صخرة على شكل رجل، وأخرى تقابلها على شكل امرأة يطلق عليهما الأهالي حمص وحماة.

هذا، وتكثر الكتابات والرسوم في أرجاء المنطقة. وقد حدثنا مدير التعليم الأستاذ ابراهيم عبد الكريم الخياط أن سفوح جبل «القاعد» تضم كتابات ثمودية تحتاج الى من يحللها ويتعرف على نصوصها.

جَوٌّ وبَلطَة ومَسْطَحْ

لا يسع المرء، وهو يسمع أمرؤ القيس وغيره يرددون في أشعارهم أسماء أمكنة متعددة في جبال شمر وشعابها، الا وتحدوه رغبة الى مشاهدتها، فهذا أمرؤ القيس يقول:

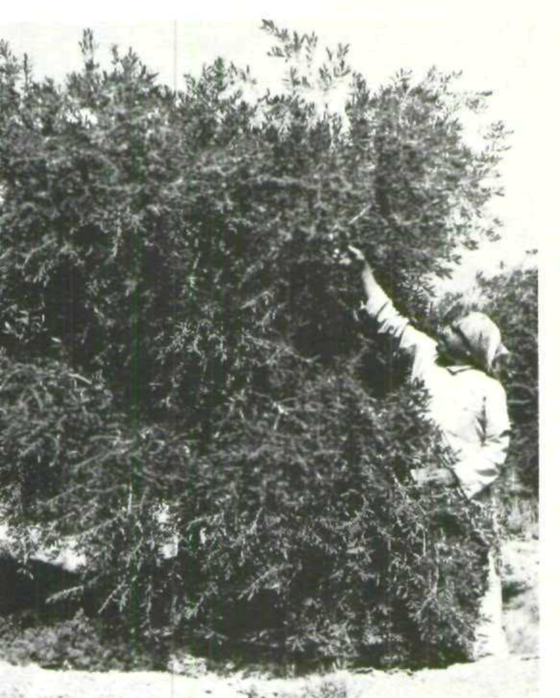
نزلت على عمرو بن درماء «بلطة»
فيا كرم ما جار ويا حسن ما فعل
تظل لبوني بين «جو» و «مسطح»
تراعي الفراخ الدارجات من الحجل

وهذه اعرابية من أهل جبل طيء قدمت الى مصر فمرضت بها، فأتاها النساء يعرضن لها ويعللنها بالكعك والرمان وأنواع الفواكه، فقالت:

لأهل «بلطة» اذ حلوا أجارعها
أشهى لنفسي من أبواب سودان
جاءوا بكعك ورمان ليشفيني
يا ويح نفسي من كعك ورمان

ويممنا شطر تلك الأمكنة في جبال أجأ، وسلكنا وادي «صيحان»، ثم انحرفنا الى اليمين باتجاه «بلطة» في ريع لا يزيد عرضه على ٥٠ مترا حتى انتهينا الى عين بلطة التي لا ينضب ماؤها طوال السنة، وحولها شجيرات نخيل باسقة في حرف الجبل. ويقصد أهل حائل هذا المكان الذي يمتاز بجبال وردية جميلة، ذات تكوينات بديعة، وأرض مفروشة بالبطحاء ظلالها وارفة وماؤها نمير.

ثم غادرنا المكان وعدنا أدراجنا الى وادي صيحان لنتجه صوب جوّ. واجتزنا «مسطح» التي ترتفع قليلا عن الوادي وتكثر على صخورها الكتابات والمخربشات الى جانب بعض المساكن الدارسة، ثم أخذنا نرتفع شيئا فشيئا الى أن أفضت الطريق الى هضبة مستوية تحيط بها الجبال من جميع الجهات تكسوها النباتات الخضراء، وترعاها قطعان الماعز والأغنام. اجتزنا هذه الهضبة حتى انتهينا الى جوّ التي تكثر فيها النخيل والتي ترويها مياه السيول فقط. وفي عودتنا أرانا الدليل غار «ظلما» الذي تنتشر حوله أشجار التين البري. ويزعم بعضهم أن «ظلما» هي امرأة، وخلاصة قصتها، كما رواها لنا دليلنا «سالم»، أن رجلا تزوج من فتاة بارعة الجمال وأسكن معه أمه «ظلما» وأخته العانس. فكان كلما دلف الى خدر زوجته، أكلت الغيرة قلب الأم وابنتها. وذات يوم صممت الأم على قتل ابنها عندما يذهب للقيلولة في ظل الغار فتدحرج عليه صخرة وهو نائم، وحدثت ابنتها بذلك. وكانت الزوجة تسترق السمع، فأخبرت زوجها بما تعتزمه أمه، فلم يصدقها. وذهب كعادته الى الغار



أشجار الزيتون أخذت تحتل مكانا بارزا في المنطقة الزراعية بحائل



يد هاون مصنوعة من حجر الجرانيت الأملس طولها نحو ٧٥ سنتيمترا، يحتفظ بها أمير «فيد» ضمن مجموعة كبيرة من الحاجات الأثرية.

وقت الهاجرة ، وهاله أن رأى أمه كامنة وراء صخرة كبيرة في أعلى الغار تنتظر مجيئه ، فولت هاربة على وجهها في الجبال تتحين الفرص لتفتك بكل رجل يمر بذلك الغار .

وعلى مقربة من غار « ظلما »يوجد جسر حجري في حافة الجبل يطلقون عليه « مربط فرس أبو زيد ».

النعيّ روضة غنّاء

قطعنا السهول الفسيحة بين أجأ وسلمى التي تتخللها الهضاب والجبال البركانية نصعد تارة ونهبط أخرى . وفي هذه السهول تكثر الزواحف ، كالأفاعي والضب والورل ، واجتزنا « جبل فتق » و « جبل عبد السبعان » البركاني المخروطي الشكل . وما لبثنا أن أتينا الى ضلع « صغير الخلف » الذي تقاسم عنده حاتم وعنترة الابل . وبدت أمامنا عن كثب سلسلة جبال سلمى الشبيهة بأجأ من حيث تكوينها وفجاجها . فدخلنا في شعيب « رك » حتى وصلنا قرية « رك » القديمة التي ذكرها الشاعر عبيد بن الأبرص الأسدي بقوله :



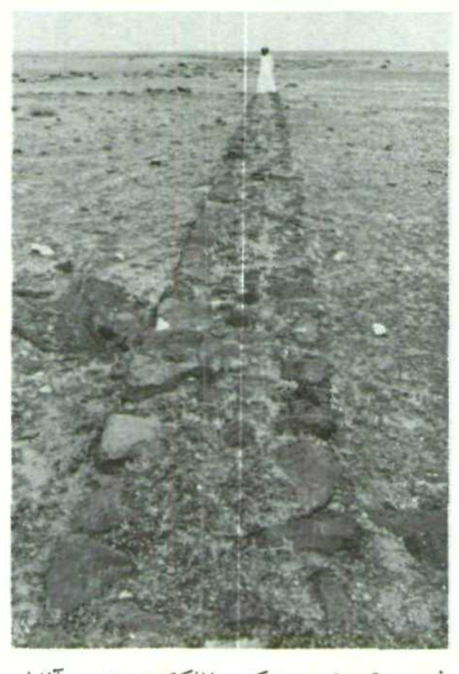
نادي الجبلين » بحائل يحتفظ في متحفه الصغير بالعاديات التي يجمعها أعضاؤه ، ومنها السيوف والبنادق القديمة وغيرها .

عندما يشتد البرد في منطقة حائل تروج سوق الفراء المصنوعة من جلود الخراف التي تكثر في منطقة حائل ، ومنها النجدية والحبصية والجرشية ، وتمتاز كلها بأصوفها الناعمة .

تغيرت الديار بذي الدفين
فأودية اللوى فرمال لين
تبين صاحبي أترى حمولا
تشبه سيرها عوم السفين
جعلن الفلج من « ركك » شمالا
ونكبن الطوي عن اليمين

وعلى بعد كيلين من « رك » في كنف جبل « صايد » نزلنا على قبر عكاشة بن محصن الأسدي الذي حارب طليحة بن خويلد الأسدي حين ادعى الأخير النبوة وارتد عن الاسلام . ولما استشهد عكاشة أرسل الخليفة أبو بكر الصديق، رضي الله عنه، خالد بن الوليد فهزم طليحة في «بزاخة»، التي تقع الى الجنوب من حائل على بعد ٥٠ كيلومتراً . وفر طليحة الى الشام ، وقيل أنه قدم على الخليفة عمر بن الخطاب رضي الله عنه مسلما وأبلى بلاء حسنا في فتوح العراق . وحول قبر عكاشة توجد عدة قبور وآثار مسجد ومحراب لا تزال ظاهرة .

تركنا المكان وسرنا في « ريع النعي » حتى حططنا في قريـة « النعي » التي تقع في أرض منخفضة تنحدر اليها السيول من جميع الجهات وتتجمع فيها ، ولهذا كانت ذات تربة خصبة غنية بخضارها وفواكهها كالعنب والمشمش والتفاح والاترنج والبرتقال . ويحفر الأهالي الآبار الى عمق ١٢ متراً ويركبون عليها مكائن لسقي « الحيران » . وتحيط بالقرية ذات البساتين



في مدينة « فيد » تركت الملكة زبيدة ، آثارا ، منها هذه القناة المطمورة التي كانت توصل الماء يوما ما الى بركة كبيرة يستقي منها الحجاج .

بدأت منذ عهد قريب زراعة القمح في منطقة حائل ، وانتشرت انتشارا كبيرا .

النضرة جروف جرانيتية كأنها جدران منحوتة . وقد أخبرنا أمير النعي « حمود بن زبن » أن قريته تضم قبر فارس بني عبس عنترة بن شداد الذي يعتبر من أشهر فرسان العرب ، ومن شعراء الطبقة الأولى . وقد قتله جبار بن عمرو الطائي ، سيد بني جديلة . فعلى مرتفع من الأرض أرونا قبر عنترة ، وعليه رضم سوداء .

وهنا رددنا أبياتا من معلقته حيث يقول :

هل غادر الشعراء من متردم
أم هل عرفت الدار بعد توهم
يا دار عبلة بالجواء تكلمي
وعمي صباحا دار عبلة واسلمي

الى أن يقول :

هلا سألت الخيل يا ابنة مالك
ان كنت جاهلة بما لم تعلمي
يخبرك من شهد الوقيعة انني
أغشى الوغى وأعف عند المغنم
ومدجج كره الكماة نزاله
لا ممعن هربا ولا مستسلم
جادت له كفي بعاجل ضربة
بمثقف صدق الكعوب مقدم
فشككت بالرمح الأصم ثيابه
ليس الكريم على القنا بمحرم
فتركته جزر السباع ينشنه
يقضمن حسن بنانه والمعصم

«فيد» مهد حضارات زاهرة

تقع «فيد» على بعد ٢٠ كيلومترا من حافة جبال سلمى الشرقية في حرة منبسطة، وتبعد عن حائل حوالي ١٣٠ كيلومترا. وقال الزجاجي أنها سميت اثر «فيد بن حام بن نوح».

وقد ذكرها الشاعر الجاهلي لبيد بن ربيعة العامري في معلقته:

عفت الديار محلها فمقامها
بمنى تأبد غولها فرجامها

الى أن يقول:

بل ما تذكر من نوار وقد نأت
وتقطعت أسبابها ورمامها
مرية حلت «بفيد» وجاوزت
أهل الجبال فأين منك مرامها

وكان لهذه المدينة شهرة عظيمة في العصور الوسطى، وخاصة في عهد الخليفة العباسي هارون الرشيد، وقد أكسبها موقعها على درب زبيدة مكانة تجارية مرموقة وازدهارا عظيما. وكانت تعتبر أهم محطة على درب زبيدة لكونها في منتصف المسافة بين الكوفة ومكة المكرمة. وكان الحجاج يجدون في أسواقها العامرة كل ما يحتاجونه، وكانوا يودعون أهلها بعض ما يثقلهم حتى يرجعوا. ومن معالم «فيد» الأثرية بركة كبيرة في وسط القرية تمتد منها قنوات تحت الأرض الى بئر في ظاهر القرية. وعلى بعد كيل واحد الى الشمال من قرية فيد الحالية تقوم مدينة فيد القديمة. وفي وسط أطلال المدينة قصر لا تزال بعض جدرانه قائمة، وهو مبني بالحجارة السوداء، ويبلغ سمك جداره ٥٦ بوصة. وأمام القصر من الجهة الشرقية بئر يبلغ عمقها ١٥ مترا تقريبا، يطلق عليها أهالي فيد اسم «بئر الرومي» وحولها حديقة مسورة. وشاهدنا عند القصر حجر رحى قطره ٤٥ بوصة. والجدير بالذكر أن معالم هذه المدينة المندثرة لا تزال واضحة. وهي تحتاج الى حفريات للكشف عن كنوزها وإلقاء الضوء على تاريخها. وعلى أرضها تنتشر القطع الفخارية الملونة والمكسو بعضها من الداخل بطبقة زجاجية. وبعض القطع الفخارية ذات زخارف اسلامية رقيقة تنم عن مهارة فائقة. ويقوم أمير «فيد» الشاب المثقف «فهيد بن فريحان الشمري» بالمحافظة على جميع المعالم الأثرية بهذه البلدة، وقد أخبرنا أن بعض أهالي فيد عثر على مسكوكات فضية وذهبية يعود تاريخ بعضها الى ١٧٣هـ. وفي الجهة الشمالية الشرقية من أطلال فيد القديمة، وعلى أرض مرتفعة يقوم قصر «خراش»، وهو عبارة عن رجوم سوداء، ويحيط به سور دائري. ولست أدري اذا كان صاحب هذا القصر هو المقصود في هذا البيت من الشعر:

تكاثرت الظباء على خراش
فما يدري خراش ما يصيد

وعلى مقربة من القصر شاهدنا بركة زبيدة التي كان



غار «جانين» الذي يزخر بالكتابات النبطية والثمودية والصفوية والرسومات الدقيقة.

يرقد فارس بني عبس «عنترة بن شداد» - على حد زعم أهل قرية «النعي» - في كنف هذه الجروف العميقة التي ابدعتها يد الطبيعة.

الحجاج يستقون منها ، وقد طمرتها الرياح بالرمال . ويبلغ طولها ٣٥ مترا وعمقها متران ، وهي مبنية بحجارة سوداء مطلية من الداخل بطبقة من الجص ، ويصلها الماء عبر قناة تحت الأرض من عين الحمراء في الجهة الجنوبية من القرية . والغريب أن الماء يرتفع في القناة الداخلية تدريجيا حتى يبلغ قناة ممتدة على سطح الأرض الى البركة طولها كيل تقريبا .
وفي قرية فيد عدد من العيون القديمة المشهورة ، منها: عين النخلة ، والعين الحارة ، والعين الباردة .

والى فيد ينسب «زيد الخير» وهو زيد بن مهلهل ، من سادات طيء ، وكان فارسا شجاعا بعيد الصيت في الجاهلية ، وأدرك الاسلام ، وكان قد وفد الى النبي صلى الله عليه وسلم سنة تسع للهجرة فسر ، به وسماه «زيد الخير» . وروي عن النبي قوله : «يا زيد ما وصف لي رجل قط فرأيته الا كان دون ما وصف به الا أنت فانك فوق ما قيل فيك» .
أما عمر بن الخطاب رضي الله عنه فقد قال له مخاطبا: لله درك يا أبا مكنف ، فلو لم يكن لطيء غيرك وغير عدي بن حاتم لقهرت بكما العرب . وقد حم زيد في عودته، ولما اشتدت به الحمى عند ماء لحي من طيء يقال له فردة أنشأ يقول :

أمرتحل صحبي المشارق غدوة
وأترك في بيت بفردة منجد
سقى الله ما بين القفيل فطابة
فما دون أرمام فما فوق منشد
هنالك لو أني مرضت لعادني
عوائد من لم يشف منهن مجهد
فليت اللواتي عدنني لم يعدنني
وليت اللواتي غبن عني عودي

يصطلون بالنار في حزيران

قد يستغرب البعض عندما يسمع أن أهالي قرية «طابة» يوقدون النار ليلا لتبعث في أجسامهم الدفء ، ويتدثرون بالفراء ويلبسون البشوت اتقاء من البرد القارس في ليالي شهر «حزيران» ، ولكنها الحقيقة ، اذ تهبط درجة الحرارة هبوطا شديدا ، فقد يجمد الماء في بعض ليالي حزيران . ولدى اجتماعنا بأمير طابة الشيخ عبد الله المزعل حدثنا بأن شتاء المنطقة بارد جدا . وقرية طابة تقع في مدخل «ربع السعود» في وهدة تحيط بها الجبيلان (الجروف) من الشمال والغرب . وعلى مقربة من القرية في الجهة الجنوبية يرتفع جبل غرانيتي يطلقون عليه اسم جبل «الدنان» . والغريب في هذا الجبل أن أصواتا أشبه بالرنين المتواصل تصدر عنه عند الهاجرة .

عنب السبعان

تشتهر «السبعان» بعنبها الأسود والأبيض الشهي الذي يتأخر نضجه لبرودة الطقس .
والسبعان ، تلك القرية الغنية بمياهها العذبة وبساتين العنب والرمان ، تقع في وادي العش الذي تغذيه السهول المنحدرة من حافة جبال «سلمى» الغربية . وهي تمتاز بتربة طينية حمراء ناعمة تصلح لجميع أشجار الفاكهة. ومما يلفت النظر فيها أشجار النخيل من نوع «الحلوة» الضاربة في عنان السماء ، حتى ليبلغ طول النخلة ما يزيد على عشرين مترا ، تطوق أعناقها القنوان ، وقد وصفها الشاعر بقوله :

والنخل كالغيد الحسان تزينت
ولبسن من أثمارهن قلائدا

وقرية السبعان فضلا عن خصب أراضيها وشهرة عنبها تضم قصورا جديرة بالمشاهدة . وهذه القرية معروفة منذ القدم ، فقد ذكرها الشاعر لبيد في قوله :

غشيت ديار الحي «بالسبعان»
كما البدر فالعينان تبتدران
منازل من بيض الخدود كأنها
نعاج الملا من معصر وعوان

التوسع الزراعي في المنطقة

تتوفر عدة عوامل في منطقة جبال شمر من شأنها رفع المستوى الزراعي في المنطقة ، منها اعتدال مناخها وجودة تربتها ووفرة مياهها . فالحرارة في النهار تتراوح بين ١٥ و ٢٥ درجة مئوية صيفا ، وبين خمس درجات تحت الصفر و ١٥ درجة مئوية شتاء . والهواء جاف ، وتهب على المنطقة رياح غربية رطبة . أما التربة الصالحة للزراعة فهي بين صفراء متوسطة وصفراء خفيفة . وقد أثبتت الدراسات التي أجرتها الوحدة الزراعية في حائل ملاءمة هذه التربة لأشجار الفاكهة ، كالبرتقال والعنب والرمان والزيتون والخوخ والتفاح ، كما تصلح لزراعة الخضروات بجميع أنواعها . وتهطل الأمطار على المنطقة بين شهري سبتمبر ومايو .

وفي سلسلة التجارب التي أجرتها الوحدة الزراعية قامت عام ١٣٨١هـ بانشاء مزرعة نموذجية في «النقرة» على بعد ٥ كيلومترات جنوبي حائل مساحتها ٦ كيلومترات مربعة ، وغرست فيها أشجار الزيتون والفاكهة . كما خصص قسم منها للأشجار الحرجية ومشاتل أشجار الفاكهة التي تقدمها الوحدة للفلاحين . والجدير بالذكر أن الزيتون ناجح في هذه المنطقة نجاحا كبيرا . ولدى سؤالنا مدير الوحدة الزراعية السيد محمد الراجحي عما يفعلونه بثمر الزيتون الوفير ، قال : يصنع أهالي حائل الكبيس من ثمر الزيتون ، ويصدر الفائض الى الرياض ، وأعتقد أن لا مندوحة لنا من انشاء معاصر حديثة لاستخراج زيت الزيتون لوفرة الثمر .

وتعنى الوحدة بصورة خاصة بتنمية الثروة الحيوانية ، فقد قامت مؤخرا باحداث قسم في الوحدة ، يختص بالمراعي ويقوم بدراسة الأعشاب البرية فيها . وجدير بالذكر أن منطقة جبال شمر غنية بمراعيها وكثرة مواشيها ، فهي تزود المملكة بالأغنام والماعز والابل .
وتشتهر بصورة خاصة بأشجارها وأعشابها البرية التي ترعاها المواشي والابل . ففي النفود تنمو أشجار الأرطا ، والغضا ، والعاذر ، والسبط ، والنصي ، والعرفج ، الى جانب بعض الأعشاب كالربلة ، والسليح ، والخمخم ، والحمصيص والمكر . أما في الشعاب والأودية والسهول فتكثر أشجار الطلح ، والسدر ، والعوشز ، والرمث ، والعلندى . كما تنمو في الربيع أعشاب كثيرة لبعضها أزهار جميلة الألوان منها : الأقحوان ، والحوذان ، والسكب ، والرقم ، والصمعة ، والخوة ، والشعلوق ، والذقنون ، والصفار ، والرخام ، والجعد ، والسلا ، والنقد ، والنقيع ، والثمام ، والدعاع ، والرال ، والشيح ، والبعيثران ، والخطمي ، والقيصوم .
وقد قامت وزارة الزراعة ، حفاظا منها على الثروة الحيوانية وانعاشها ، بحفر آبار ارتوازية في النفود ، وفي مناطق متعددة يقصدها البدو ، من تربة والشعلانية والخطة والأجفر والحليفة وبقعا . وسيجري قريبا توزيع الأراضي البور على المواطنين في وادي الترمس وبقعا والقصيفة والوبريات والفويلج والمندسة وصبروات والغزالة وبحرة جانين ، وتبلغ مساحتها ما يقرب من ٢٤ مليون دونم .
تشتهر المنطقة بزراعة النخيل في شعاب جبلي أجأ وسلمى وفي السهول . ومن أجود تمور المنطقة «الحلوة» التي يتأخر نضجها . ومن الأنواع الأخرى المشهورة في المنطقة : الرخيمي والحديرية والحمراء والقسبة . والمشهور عن حائل أنها تستورد التمور من القصيم والأحساء والمدينة المنورة مع بداية الصيف وتعود لتغمر تلك المناطق «بحلوتها» مع اطلالة الشتاء.

النشاط الرياضي والفني والاجتماعي

يمثل «نادي الجبلين» و«نادي الطائي» قمة النشاط الرياضي في حائل ، ليس ذلك فحسب ، بل يسهم كل منهما في شتى المجالات التي تهدف الى النهوض بمستوى مدينة حائل وسكانها . وقد تأسس «نادي الجبلين» عام ١٣٧٩هـ وتم تسجيله



تزخر المجالس في كل بيت في منطقة حائل بأنواع من «الدلال» و«الأباريق» الأنيقة ، التي تشكل مظهرا من مظاهر الضيافة .

ضمن أندية «رعاية الشباب» عام ١٣٨٦هـ . أما «نادي الطائي» فقد تأسس عام ١٣٨٠هـ وهو نادٍ رياضي ، ثقافي ، اجتماعي . وجدير بالذكر أن «نادي الجبلين» نال شهادة تقديرية كأحسن ناد رياضي من بين جميع الأندية الريفية في المملكة ، كما حاز عام ١٣٨٩/١٣٩٠هـ على بطولة المنطقة الوسطى في كرة القدم . وفي عام ١٣٩١/١٣٩٢هـ فاز بكأس وزارة العمل والشؤون الاجتماعية للدرجة الثانية . أما «نادي الطائي» فقد فاز بالمركز الثاني لبطولة المنطقة الوسطى في ألعاب القوى .

ويتبنى الناديان في شهر رمضان من كل عام مشروعا يسمى «يوم الفقير» تجمع فيه التبرعات من أعضاء الناديين والأهالي ثم توزع على الفقراء . كما يشترك الناديان في «أسبوع المرور» الذي تنظمه شرطة المرور . ويحرص «نادي الجبلين» على أن يكون هناك تعاون بين النادي وجميع المدارس في حائل فيما يتعلق بمتابعة الطلبة المنتسبين للنادي . وفي العطلة الصيفية يقوم النادي بفتح فصول دراسية خاصة لمن لم يسعفهم الحظ في النجاح في الدور الأول . ويوجد في النادي مكتبة تضم ما يربو على ألفي مجلد في مختلف المعارف يطبق فيها نظام الاعارة الداخلية والخارجية . ويسهم الناديان بعقد ندوات أدبية ومحاضرات ثقافية واقامة حفلات في مناسبات مختلفة .

ولعل أبرز ما يلفت النظر في مبنى «نادي الجبلين» تلك اللوحات الزيتية المستوحاة من صميم البيئة وطبيعة جبال حائل الفاتنة . وقد فازت بعض تلك اللوحات في المعارض الفنية التي تنظمها ادارة رعاية الشباب كل سنة لأندية المملكة . وتجدر الاشارة الى أن «نادي الجبلين» قد خصص غرفة في مبناه أشبه بمتحف صغير تعرض فيها «العاديات» وما يعثر عليه أعضاء النادي من حاجات أثرية أثناء جولاتهم الاستطلاعية في المنطقة .

ولأبناء جبال شمر عادات وتقاليد موروثة تحمل في طياتها الاصالة والشهامة والكرم . ومع تلك التقاليد المرعية يميل الشمري الى المرح والانطلاق ، فالطبيعة سمحة والأرض معطاء . ومن عادات أهل الحي الواحد في حائل أن «الشبة» ، وتعني القهوة العربية ، ترسو في منزل واحد منهم كل ليلة بالتناوب ، حيث يتخلل ارتشافها تبادل الأحاديث والأسمار ومطارحة الأشعار . وفي أيام العطل والأعياد يخرج معظم أهالي حائل جماعات الى «القيلات» في بقاع جميلة ، وخاصة أيام الربيع عندما تكتسي الأرض بالحلل السندسية الموشاة بالأبيض والأصفر والأحمر من النوار . ولعل قرية «عقدة» تحظى بعدد هائل ممن يرتادونها للترويح عن النفس . فهي تقع في شعيب في جبل أجأ يبلغ طوله ٥ كيلومترات وعرضه حوالي مائتي متر ، وقد حفت بها الجبال السامقة بتكويناتها الصخرية البديعة ، وتكثر فيها البساتين الغناء والمياه العذبة المتدفقة وأشجار النخيل التي تعانق الجبال الشماء .

ولا تخلو مجالس أبناء حائل من حفلات السمر يحيونها على ضوء القمر الساطع ، فيصدح شاعرهم بالإنشاد :

يا كليب شب النار يا كليب شبه
عليك شبه والحطب لك يجاب
وعلي أنا يا كليب هيله وحبه
وعليك تقليط الدلال العذاب
وادغث لها يا كليب من سمره جبه
باغ الى منه غفا كل هاب
باغ الى شبيتها بالمشبه
تجذب لنا ربع سرات غياب
أطمر لهم وابدي سلام المحبه
لا جو على هجن يفيهم خراب
مع كبش مصلاح لك الله نجبه
الى أدبر الهيّن متين العلاب
والوالمة يا كليب عجل بصبه
والرزق عند اللي ينشي السحاب

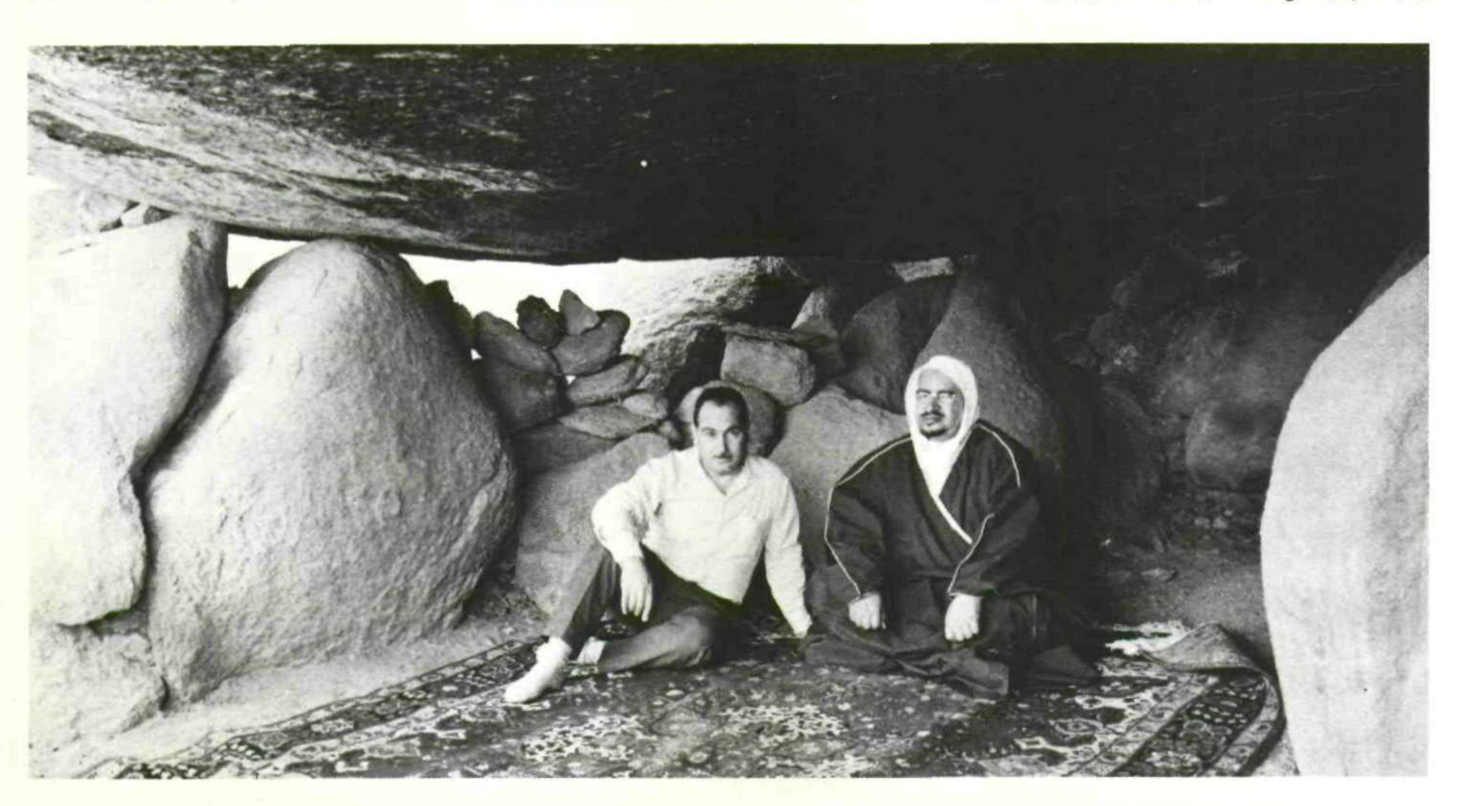
ومن العادات الجميلة التي يشارك فيها جميع أبناء حائل في أفراح العيد ، أن كل رب عائلة بعد صلاة العيد يحمل ما حضّرته زوجته من مأكولات وحلويات يضعها في ساحة عامة ، فيجد الفقير والغريب الوافد الى المدينة يوم العيد كل ما لذ وطاب من المأكولات الشهية .

ومن أشهر الأكلات الشعبية المشهورة عندهم «الثريد» وهو قرص من دقيق البرّ يمزج بالسمن البري والبصل ، والحنينة ، ويدخل فيها التمر ، والمندى ، والحميس .

ومن الرقصات التي يؤدونها في الأعياد وأفراح الزواج «السوقية» التي يقوم بها جماعة من الرجال يجلسون في صفين متقابلين يرددون أشعارا حماسية على قرع «الدمام» أي الطبل . هذا بالاضافة الى رقصة «العرضة» النجدية المشهورة .

وبذلك نغادر حائل ، عروس جبال شمر ، ذات الطبيعة الخلابة ، والماء القراح والهواء العليل ، والربى الخضراء ■

سليمان نصر الله – من هيئة التحرير



في منطقة حائل تكثر الكهوف التي يلجأ اليها أبناء المنطقة في رحلاتهم الخلوية ، وهذا كهف الحجاج بن يوسف الثقفي الذي دلف اليه وهو في طريقه الى مكة المكرمة حاجا ، ويرى هنا فضيلة الشيخ ناصر بن عبد الله بن الشيخ وكيل أمير منطقة حائل مع كاتب المقال .

الزيت يُبدّد بُهمة الليل وحلكة الظلام

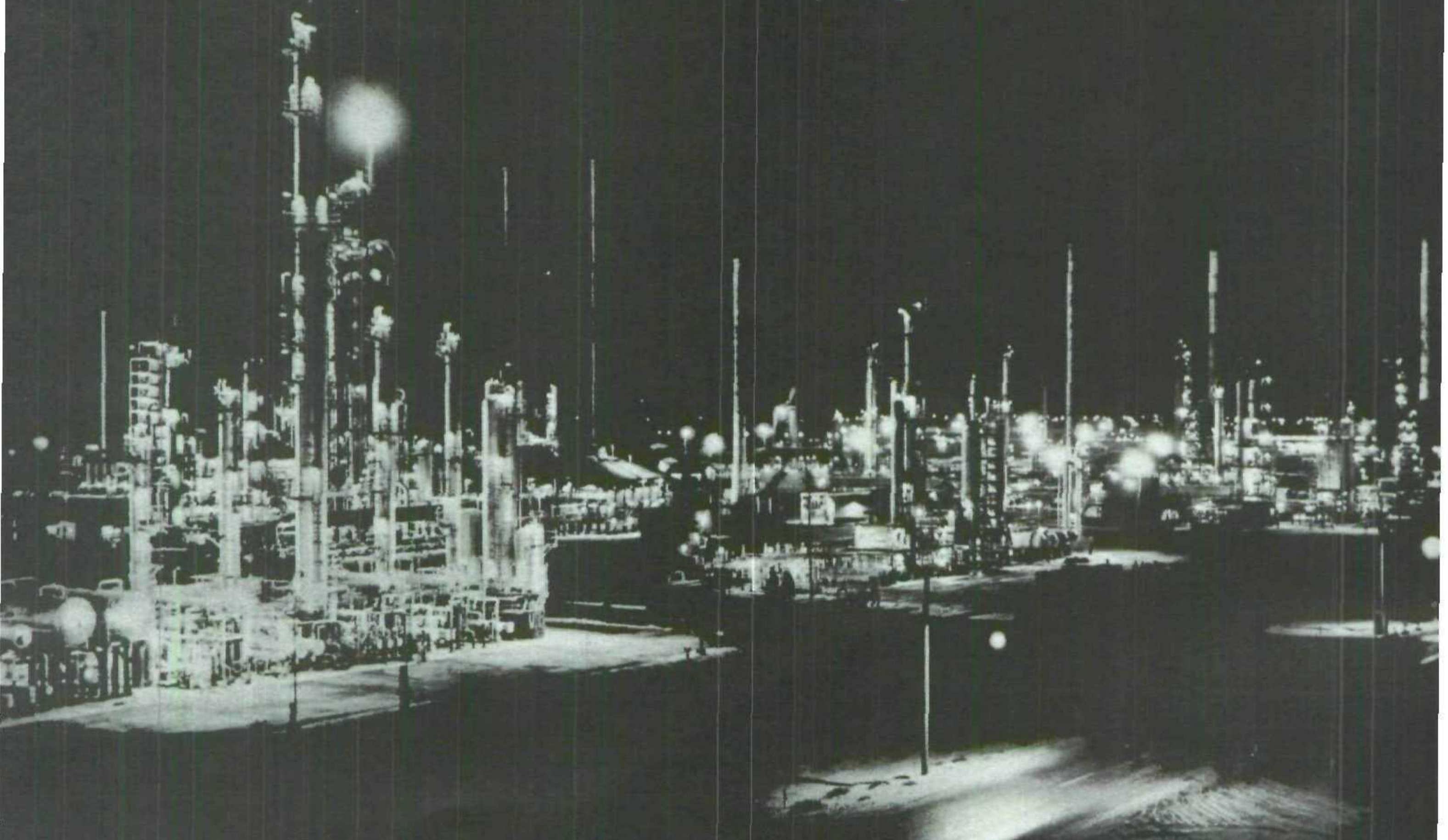
كانَ مطلع القرن التاسع عشر الميلادي نقطة تحوّل في وسائل الانارة المثبتة لتبديد ظلمات الليل البهيم الذي يلف الكون بردائه الأسود كل مساء . وفي السنوات التي تلت تلك الفترة أصبحت الانارة الجيدة . القاعدة الأساسية لدى عامة الناس في أنحاء مختلفة من العالم . ولقد استوجبت التحسينات التي طرأت على وسائل الانارة مراعاة النمو المطرد للمؤسسات التجارية التي كانت تبحث عن امتلاك وسائل الانارة الحديثة اللازمة لنموها . ومن ثم الرغبة في امتلاك القدرة على تلبية حاجة السوق المتزايدة لهذا العنصر الجديد . ولم تتوان شركات الزيت في كل من أمريكا وبريطانيا في تقديم ما يلزم لتلبية هذا المطلب الجديد .

الألعاب النارية . والشموع . وزيت المصابيح . كلها وسائل كانت معروفة لدى الرومانيين القدماء . وكانت هي نفسها وسائل الانارة المعروفة في القرن الثامن عشر . الا أن أفضل انارة كان يمكن الحصول عليها هي تلك التي تنتج بفعل احتراق شموع العنبر . وهي مادة شمعية ضاربة الى البياض تستخرج من رأس الحوت المعروف « بالعنبر » . أو من الشموع المصنوعة من شمع النحل المكرر . والتي كانت تزدان بها موائد الطبقة الثرية . وتكاد تكون تلك الشموع خالية من الروائح مع اعطائها نورا ساطعا . بيد أنه كان يتوجب قص الجزء الأعلى من الفتيل باستمرار منعا لتولد الدخان . ونظرا لغلاء هذه الأنواع من الشموع فان أعقابها كانت تحفظ . ثم تذاب لاستخدامها من جديد .

وقد كان على الطبقة المتوسطة الحال أن تختار شموعها من بين مجموعة مصنوعة من تركيبات مختلفة من الدهن والشمع . اذ كانت أقل ثمنا من الأولى . الا أنها كانت في نفس الوقت تعطي بعض الرائحة . وتولد كميات من الدخان أكثر من شموع العنبر أو النحل . وكان أسوأ الشموع تلك التي كانت تستخدمها الطبقة الفقيرة التي لا يتجاوز ثمن الواحدة منها° بنسا واحدا . أو المسماة « شموع البنس الواحد » .

وفي تلك الحقبة من الزمن كثر استعمال الزيوت النباتية والحيوانية في المصابيح وتعددت أنواع هذه المصابيح واختلفت أحجامها . ومع تلك الوفرة فانها لم تكن قادرة على منافسة شموع الدرجة الأولى .

لقد كانت الزيوت التي تستخدم في عمليات الانارة تصنف حسب الأماكن المأخوذة منها من جسم الحيتان . وكانت كلها باهظة التكاليف . الا أن أكثرها كلفة كانت تلك المستخرجة من رأس حوت العنبر . وكانت المسامات الدقيقة الموجودة في أعلى الفتيل غير قادرة على تغذية الشعلة بكميات كافية من الوقود . أضف الى ذلك عدم وجود كمية كافية من الهواء تساعد المصباح في اعطاء نور متساو . مما يترتب عليه ضرورة قص طرف الفتيل العلوي المتحجر باستمرار لضمان توفير انارة متزنة .



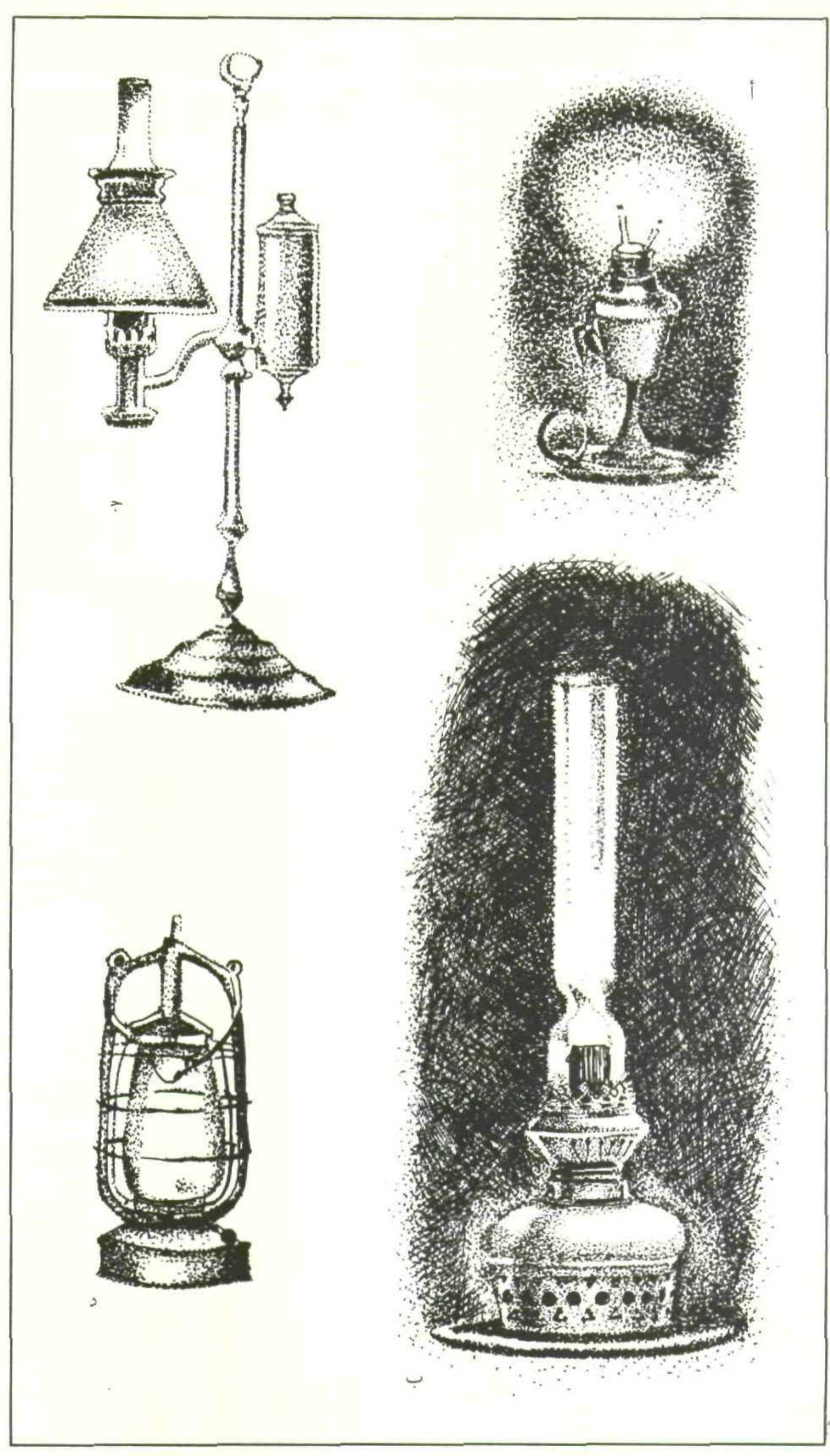
كان مصباح « أرجاند – ARGAND » الذي تم اختراعه عام ١٧٨٥ ، والذي كان على قدر من التعقيد الميكانيكي ، الحل لهذه المشكلة حتى حين ، فقد زود هذا المصباح بمضخة تموين تدفع الزيت الى الفتيل الأسطواني الشكل الذي كان يولد شعلة مستديرة ، بالاضافة الى توليد تيار من الهواء يندفع من خلال التجويف في وسط المصباح أثناء اشتعال الفتيل وارتفاع الأبخرة المحترقة الى أعلى . وقد أدت زيادة كمية الهواء الموجودة الى احتراق أفضل واعطاء كمية من النور بلغت اثنتي عشرة مرة ضعف ما كان يقدمه أي مصباح سابق .

كان ذلك هو الوضع السائد في بداية عصر التصنيع حتى جاء عام ١٨٠٢ ، عندما عزم « وليام مردوك » على اقامة حفلة قدم فيها معزوفة موسيقية عن حروب نابليون على خشبة مسرح في « بيرمنجهام » فكان أن عمد الى انارة المسرح بالغاز ، وقد كان ذلك إيذانا ببدء عهد جديد في الانارة .

وقد استحوذت الإنارة بالغاز على خيال الجمهور بعد ذلك وأصبحت شركات الإنارة بالغاز محط أنظار المستثمرين . وفي عام ١٨٠٥ ، أضاء « صامويل لودج » معامل النسيج التي يمتلكها في "هاليفكس يوركشير" بالغاز . وبحلول عام ١٨٢٣ تمت انارة حوالي ٢١٥ ميلا من طرق لندن بالغاز بعد أن كان يلفها الظلام الرهيب ، وفي سنة ١٨٥٦ أنير معظم شوارع المدينة . وقد أتت تلك الإنارة المتوهجة لتعكس الفارق بين ما كانت عليه وما صارت اليه ، فقد كانت الشوارع تضاء قبل ذلك بالمصابيح البدائية ، والمؤلفة من وعاء من الصفيح الذي كان يملأ نصفه بأسوأ أنواع زيت الصخر ، ثم تغمس فيه قطعة قطن لتكون بمثابة الفتيلة ، وكان يحيط بوعاء الزيت وقطعة القطن غلاف شبيه بالزجاج يعيق النور الضئيل الذي كان يصدر عن المصباح أن يصل الشارع .

هذا ولم يصبح الغاز شائعا في الانارة المنزلية حتى عام ١٨٩٠ حين تمّ اختراع الفتايل المتوهجة « الشنبر » ، وذلك لأنه لم يكن بالامكان قبل ذلك احتمال الرائحة والحرارة ، المنبعثة من النفاثات الغازية .

لقد كان تأمين الغاز للجميع يشكل صعوبات في البداية ، لكنها ذللت بعد اختراع أسطوانات ضغط الغاز وتخزينه وأصبح في متناول أيدي الجميع ، بما في ذلك سكان الأرياف . وقد ساهم الغاز في انارة الأبنية



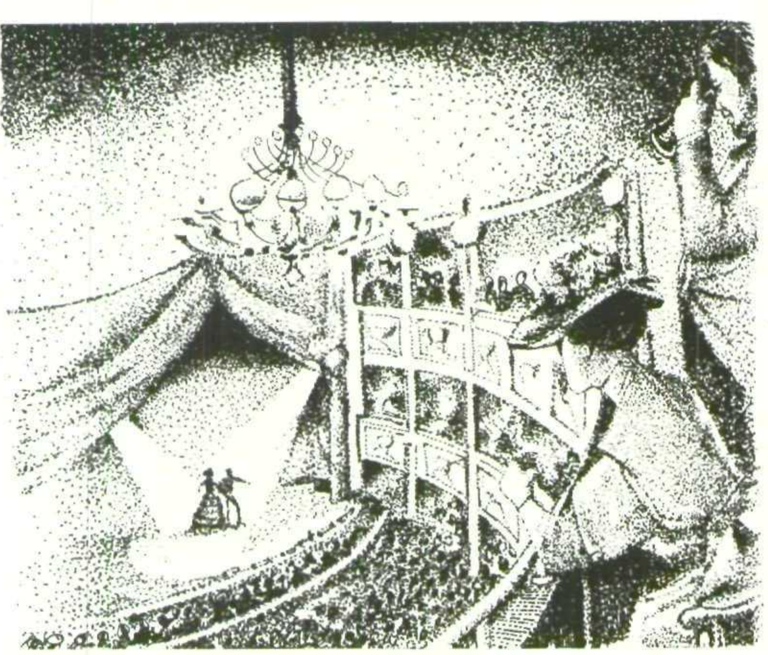
أ – مصباح روماني قديم من النوع البسيط والذي يشتعل بواسطة الفتيل .
ب – مصباح زيتي يستخدم الزيوت النباتية والحيوانية .
ج – مصباح « أرجاند – Argand » الذي تم اختراعه عام ١٧٨٥ ، وهو مزود بمضخة تدفع الزيت الى الفتيل بالاضافة الى توليد تيار من الهواء يندفع من خلال التجويف الموجود في وسط المصباح .
د – مصباح الكيروسين ذو الفتيل المعروف حاليا ، والذي ما زال محتفظا بشكله القديم .



أحـد شوارع مدينة الخـبر في المملكة العربية السعودية أثناء الليل ، وهو يستمد الطاقة الكهربائية من محطة شركة القوة الكهربائية لمقاطعة الظهران التي تستخدم الغاز الطبيعي في ادارة طوربينات توليد الكهرباء .



عاملتان تقومان بأعمال التطريز عـلى ضوء شمعة واحدة تحيط بها كرات من الزجاج المليئة بالمـاء .



الإنارة بالغاز استخدمها « وليام مردوك » سنة ١٨٠٢ في إنارة مسرح « بير منجهام » ، وضوؤه ينافس ضوء المصابيح الكهربائية ،

العامة ، ولعب دورا كبيرا في انعاش مرافق الحياة المختلفة كالطبخ والتدفئة خلال العقود الأخيرة من القرن الماضي . وقد بقيت الشموع والمصابيح الزيتية بالنسبة الى كثير من الناس الطريقة المثلى للإنارة الداخلية حتى بعد تطوير الغاز واعداده للاستخدام . ولكن سرعان ما تحوّل الناس عن استعمال زيت الحوت الباهظ التكاليف فـي المصابيح الزيتية الى استعمال « البرافين » أو « الكيروسين » . ان عملية التكرير أصبح بأمكانها تحسين اداء عمل الزيت بشكل مثير . ولهذا نشأت في مطلع القرن التاسع عشر صناعة على نطاق مصغر مهمتها استخراج الزيت من « الفحم » ومن « الطفل » ، وقد بدأت هذه الصناعة في « سكوتلندا » وأجزاء أخرى من بريطانيا . ولكن هذه الصناعة ما لبثت أن نمت نموا سريعا بعد أن تكللت جهود الكابتن « دريك » بالنجـاح في حفر بئره المنتجة للزيت في مدينة « تيتوسفيل » بولاية « بنسلفانيا » في أمريكا . وكان من نتيجة ذلك أن ارتفعت كميات الزيت الواردة الى بريطانيا وحدها من ٣٠٣ آلاف جالون عام ١٨٦١ ، الى ٢١٥ مليون جالون عام ١٩٠٠ .

لقد أدت زيادة حجم التبادل التجاري بهذا الوقود وتوفره الى اجراء دراسات واسعة على المصابيح التي كانت تستخدم هذا النوع الجديد مـن الوقود . وفي أقل من عشرين عاما بعد العام ١٨٦٠ جرى التخلص من أكثر من ١٦٠٠ نوع من هذه المصابيح على اختلاف أنواعها ، حتى الجديدة منها ، والتي أدخلت عليها بعض التحسينات ، فقد كان من الممكن انتاج وقود في غاية السلامة ، اذا ما تمّ تكريره بالطرق الصحيحة ، وكان أقل خطرا من أنواع الوقود الأخرى التي حلّ مكانها حتى أصبحت فتيلة بسيطة كافية لإعطاء إنارة نظيفة مع قليل من العناية . وفي الوقت نفسه أدى التوصل الى إيجاد طرق رخيصة لإنتاج الصفائح المعدنية والأوعية الزجاجية الى انتاج المصابيح المبسطة بكميات

أن وجد مصباح الكيروسين ذو الفتيل ، المعروف حاليا ، والذي ما زال محتفظاً بشكله القديم حتى الآن .

لقـد أصبح زيت الاستصباح واحدا من أوائل المنتجات التجارية التي تحمل أسماء براقة ، وكان اسما « ضوء النهار الملكي » و « الوردة البيضاء » من الأسماء التجارية المرموقة للزيت معروفة في جميع أنحاء بريطانيا ، وهي علامات تجارية كانت تملكها الشركة البريطانية الأمريكية ، التي كانت تقوم بتسويق الزيت داخل بريطانيا . ولقد لفتت هذه الأسماء الانتباه الى أن عمليات التكرير الناشئة قد تنتج أحيانا أصنافا أقرب الى البنزين منها الى « البرافين » ، وتكون نتائج استخدامها خطيرة . وفي نهاية القرن كانت وسائل تشغيل معامل التكرير وطرق التوزيع قد تطورت ، وأصبح من السهل على المستهلك معرفة طرق التكرير السليمة والتأكد من جودة المنتجات التي كانت تحمل أسماء مختلفة ، وبنفس الوقت انخفضت الأسعار انخفاضا كبيرا في عام ١٨٨٠ حتى أصبح سعر الجالون الواحد نصف شلن بدلا من ثلاث شلنات ونصف الشلن .

وسائل الإنارة الوحيدة المتوفرة في المنازل والشوارع قبل استخدام الزيت الذي أدى الى إحداث تطور في وسائل الإنارة المباشرة وفي تشغيل مولدات الكهرباء بعد ذلك . وترى المآذن في المسجد النبوي الشريف تستخدم وسائل الإنارة الحديثة أثناء الليل ، فتبدد الظلمات من حولها .

تغييرات اجتماعية أو أن العكس هو الصحيح ؟

قد يكون من المبالغة القول بأن توفر وسائل الإنارة السهلة كانت واحدة من الأسباب التي أدت الى التقدم السريع بالنسبة لعدد كبير من الفئة العاملة من الناس ، هي الفئة التي أخذت في الظهور في منتصف القرن التاسع عشر . لكن من المؤكد أن توفر الإنارة الجيدة قد لعب دورا هاما في توسيع أفق الناس عامة .

لقد كان الوميض الذهبي المنبعث من مصباح الزيت مثالا حيا للنظام المنزلي والاستقرار الذي سبق عهد التصنيع . فقد أصبح الرجل ذو الدخل المحدود قادرا على قضاء أمسية هادئة في بيته يمضيها في القراءة أو تحسين أموره الفردية .

وبعد ، فمنذ أن حفر « دريك » بئره وأعمال التنقيب عن الزيت آخذة في الإتساع والتعاظم فشملت بقاعا مختلفة من العالم . وبفضل الجهود العظيمة والأموال التي تنفق في أعمال التنقيب ، ونتيجة لتطور وسائل التنقيب الحديثة وتحسين أساليبها ، أخذ ما يكتشف من حقول الزيت في العالم يتزايد عاما بعد عام . وكان أن اكتشف الزيت بكميات تجارية في مناطق عديدة من العالم . وفي عدد من بلدان الشرق الأوسط ■

يعقوب سلام — من هيئة التحرير

جوانب من شخصية الكاتب

بقلم الاستاذ وليد فستق

عندما تتبارى الأمم بتراثها الثقافي ، فانما تتبارى بمفكريها وأدبائهـا ، لأن هؤلاء هم الذين يصبغون وجوه شعوبهم ، صورا واضحة المعالم جلية التقاطيع ، ثرية القسمات ، مترقرقة في ثنايا نثرهم ، ونسائم شعرهم .

من هنا تأتي أهمية الحديث عن شخصية الكاتب ، كشخصية تتفاعل فيها مختلف التيارات والاتجاهات من تربوية واجتماعية وثقافية ونفسية ، وتتشابك في نسجها عناصر متعددة الألوان كالموهبة ، واكتشاف النفس ، والثقافة النوعية ، والبنـاء الفكري . وتتآلف في حبكها خيوط مختلفـة الأصباغ ، كالشخصية المستقلة ، والتجربة والنقد الذاتي ، وعبء الكلمة .

الموهبة

في الحديث عن الملامح التي تكوّن شخصية الكاتب ، لا بد من أن نبدأ بالموهبة . وقد تطرق اليها علماء النفس والاجتماع فاختلفوا حول أهميتها بالقياس الى الوسط الاجتماعـي ، وتباينت آراؤهم ، وتناقضت نظرياتهم . بيد أنهم اتفقوا على أن للموهبة دورا رئيسيا في عملية التكوين النفسي لمعشر الكتاب والفنانين .

وفي رأينا أن الموهبة شأنها شأن البذرة في التربة ، فهذه ان سقيت ولوحظت ، نمت وازهرت ، وأثمرت ، وإن تركت وأهملت ، ذبلت واندثرت . وكذا الموهبة ، فهي اذا لوحظت من قبل الوسط الاجتماعي وغذيت ، تفتحت وأنتجت وأبدعت ، واذا لم تراع ولم تلاحظ ولم يهتم بها ، كبتت وامّحت .

وينطلق اهتمام الوسط الاجتماعي بالموهبة من دور العلم التي تأخذ بزمام الأمور ، فتعنى بالكشف عن المواهب لعرضها بعد تثقيفها وصقلها وشذبها . وتقوم تنمية الموهبة ، فيما بعد ، على عاتق صاحبها ، فيأخذ في تعهدها بالعمل الدائب المتكرر ، حتى تصبح ملكة راسخة متأصلة في بنيانه النفسي .

يقول العلامة « ابن خلدون » في مقدمته المشهورة في هذا الصدد : « والملكات لا تحصل الا بتكرار الأفعال ، لأن الفعل يقع أولا ، وتعود منه للذات صفة ، ثم تتكرر فتكون حالا ، ومعنى الحال انها صفة غير راسخة ، ثم يزيد التكرار فتكون ملكة أو صفة راسخة » .

بيد أن المناخ الذي تعيش فيه موهبة ما ، قد لا يساعد كثيرا على ممارسة فعاليتها ونشاطها ، اذ كثيرا ما يجد الكاتب نفسه في وسط لا يقدّر موهبته . لذا نرى طاقاته ، تتوزع بين ايجاد جو ملائم يحترم الآداب والفنون ، وبين ممارسة فعاليته ونشاطاته .

اكتشاف النفس

عندما وقعت عينا « سقراط » حكيم اليونان الأول ، على الحكمة المحفورة على مدخل هيكل « دلفي » في أثينا « أعرف نفسك » ، اتخذها شعارا لفلسفته . ومع أن ذلك كان في القرن الخامس قبل الميلاد ، الا أن هذا الشعار الفلسفي ظل قائما ، غنيا بمضمونه الى يومنا هذا .

ولا غرو في أن معرفة الانسان لنفسه تفوق ، صعوبة وتعقيدا ، معرفته للآخرين ، رغم ما

تتطلبه هذه المعرفة من دقة ملاحظة وطول أناة واستمرار في وضع التصرفات موضع التأويل المختلفة والشكوك المتلونة حتى يصل الملاحظ الى رأي نهائي.

ومعرفة الانسان لنفسه ، تتطلب منه عملية « تعرية ذاتية » . وابان هذه العملية تبرز أكثر من معضلة . ففيها يصطدم الشعور باللاشعور في مساجلة ينتصر فيها الأخير ، غالبا ، لاخفاء الحقيقة العارية . كما تتعرض الذات لعملية نفسية مزدوجة ، فيها من الصعوبة بقدر ما فيها من التعقيد . فهي حين تكون موضع امتحان واختبار ، تكون أيضا موضع مراقبة وتسجيل .. أي انها تقوم بعمليتين في آن واحد، هما «الاستبطان» و«المراقبة الخارجية الموضوعية » . وان أي خلل في التوازن بين هاتين العمليتين المتطابقتين ، يحدث خللا كبيرا في الصورة الكلية التي تنتج أخيرا .

وحياة الكاتب الأدبية بحاجة الى الوقوف على دقائق هذه الصورة بشكل سليم حتى يتعرف على الطريق الذي يسلكه والسبيل الذي ينهجه . وأسوأ ما يعانيه الكاتب ، هو التخبط بين سبل شتى . ففي حين يحاول الجمع بين لون من ألوان العلوم وفن من الفنون ، مثلا ، تراه بينه وبين نفسه يسعى الى اكتشاف حقيقة ميوله الفكرية . وهو في حين يراه الآخرون في غاية السعادة ، يكون في الحقيقة غارقا في حيرة من أمره لعدم وقوفه على واقع نفسه ، اللهم الا اذا استقر رأيه على الجمع بين لونين أو أكثر من ألوان المعرفة أو الفنون .

ومن الكتّاب والفلاسفة من يوفقون الى الوقوف على نزعاتهم الدقيقة ، التي تيسر لهم سبل البحث والتنقيب والدراسة الطويلة . ويمكننا أن نقول أنه بقدر ما يكون اكتشاف النفس اضحا ومتميزا ، يأتي النتاج مبدعا ورائعا .

وكمثل لذلك يقول « ديكارت » الفيلسوف الفرنسي الكبير عن نفسه : « أعترف بأني ولدت وفي نفسي نزعة عقلية تجعلني أجد اللذة القصوى في اكتشاف الحجج بنفسي ،لا في الاصغاء لحجج الآخرين . وقد كان هذا دافعي الوحيد الى دراسة العلوم منذ حداثة سني » . فاكتشاف « ديكارت » هذه النزعة في نفسه جعله يتوصل الى اتجاهه الفكري . وقد ثابر في اتجاهه الذي اكتشفه بنفسه ونماه وغذاه حتى أصبح زعيم مدرسة فكرية مستقلة قائمة بذاتها .

الثقافة النوعية

وكما أن زاد العالم علمه ، والفيلسوف تأمله ، فان زاد الكاتب ثقافته . وثقافة الكاتب ثقافتان تنصهران في بوتقة واحدة هما: الثقافة العامة والثقافة الخاصة .

فالثقافة العامة حسب آراء المدرسين ، هي زاد من ضروب شتى من المعرفة ، لا بد منه لكل أديب ومفكر قبل أن يجد اليراع سبيله الى يده .

أما الثقافة الخاصة التي يتحلى بها الكاتب ، فهي النهل من المعرفة المتعلقة بحقله وميدانه مما هو متوفر في لغته وغير لغته ، وهي على جانب كبير من الأهمية .

يقول « ابن خلدون » في هذا الصدد : « والملكات التي تحصل لها (أي للنفس) انما تحصل على التدريج ، فالملكة الشعرية تنشأ بحفظ الشعر ، وملكة الكتابة بحفظ الأسجاع والترسيل ، والملكة العلمية بمخالطة العلوم والادراكات والأبحاث والأنظار ، والملكة الفقهية بمخالطة الفقهاء وتنظير المسائل وتفريعها وتخريج الفروع على الأصول .. الخ » .

فيمكننا أن نقول اذن، إن على الشاعر أن يقرأ للمتنبي ، والشابي ، والحاوي ، وريلكه ، وفولكنر ، واليوت ، وغيرهم . وعلى الأديب أن يطالع للجاحظ ، وطه حسين ،والعقاد ، والحكيم ، وهيمو ، وكافكا ، وجيته ، ومورافيا ، وغيرهم أيضا . وقس على ذلك بالنسبة لبقية الميادين . ولا بد أن تكون هذه القراءة والمطالعة والمراجعة ، عميقة سابرة للأغوار ، لا سطحية عابرة .

وفي رأينا أن الأديب الحق هو الذي يجمع بين الثقافتين ، العامة والخاصة ، في توازن متناه ، وهو الذي يبدو أديبا باحثا عن العلوم ، وعالما شغوفا بالآداب . واذ ذاك يقدم للقراء نتاجا جيدا ، ثريا بألوان شتى من زهور المعرفة ورياحينها . ولا جرم أن يعجب القارىء دوما بالكاتب الملم في نواح لا تبدو أنها في مجال اختصاصه .

فالعقاد مثلا، كان أديبا ناثرا وشاعرا ومفكرا من الدرجة الرفيعة ، وقد أمضى من العمر ثمانين حولا ، وضع إبّانها كتبا بعددها أو تزيد ، جمعت الأدب والفن والتاريخ والفلسفة والأديان جنبا الى جنب في انصهار فكري متناغم . وهذا « كولن ولسن » الكاتب الانجليزي الشاب يدهشك وأنت تطالع احدى روائعه ، اذ تشعر أنك أمام ثقافة أجيال بكاملها تنتقل من ميدان الى ميدان ، ومن أدب الى تاريخ ، ومن فلسفة الى فن ، تنقلا أشبه بتنقل الفراشة : رشيقا ، ولكنه عميق .

البناء الفكري

بعد هذا تأتي مرحلة من أشق مراحل التكوين النفسي للكاتب وأدقها ، وهي عملية « البناء الفكري » .

فالكاتب قبل أن يطل على قرّائه من خلال نظرياته وآرائه حول القضايا المثارة في مجال اختصاصه ، أو تلك التي تفرض نفسها عليه ، وقبل أن يخرج على الملأ بباكورة نتاجه ، يمر بمرحلة ، تطول أو تقصر حسب لون دراسته ، يحاول فيها استقصاء أسس علمية لتفكيره وفق « منهج » سليم المرتقى واضح الخطوات ، كي تأتي أفكاره في النهاية بعيدة الأغوار متماسكة الأطراف ذات اتجاه شخصي مميّز .

والمنهج، حسب تعريف «ديكارت»، هو : « مراعاة مستمرة للنظام القائم في الشيء ذاته » . وهو ضروري لمعرفة الأشياء والقضايا والمسائل على حقيقتها ، دون الأخذ بظاهر علاتها وعلاقتها . ولعل أول خطوات المنهج هو « إعادة النظر » ، وذلك ما فعله « ديكارت » عندما رمى ذات ليلة بالأوراق التي تحمل آراءه في الموقد ، ليخرج بعدها بآراء جديدة حول القضايا الفكرية والفلسفية التي كانت تشغل باله .

فبعد أن يتعرّى الكاتب فكريا ، وهو يرفع شعار « إعادة النظر » ، يعود ومعه شيء جديد لم يكن يملكه من قبل ، وهو تفكيره المستقل الواضح ، النقي من أدران الترسبات الماضية ، مما ييسر له الحكم على الأشياء بمنظار صادق ، ويهيئه ليتخذ موقفا منزها عن التأثيرات الشخصية ، والأهواء النفعية . فمما لا شك فيه أن الكاتب حين ينشد الاستقلال الأدبي — في بداية حياته الأدبية — تراه متأثرا بآراء معلميه ومربيه ممن

استأثر باهتمامهم ونالوا اعجابه . ويظل هذا التأثر مسيطرا على آرائه – دون أن يدري أحيانا – حتى يتم له الانفصال عنها بشكل أو بآخر . وتاريخ الأدب والفكر زاخر بأمثلة التلاميذ الذين انفصلوا عن معلميهم بعد أن نضج فكرهم ، « كأرسطو » مثلا الذي انفصل عن معلمه « أفلاطون » ، اذ انطلق من المحسوس في حين كان مربيه ينطلق من المجرد . وكذلك انشق « يونغ » عن أستاذه « فرويد » ، اذ اعتبر مركبات النقص هي المحرك الأول للعلاقات بين الناس ، في حين كان معلمه يعطي الجنس هذا القدر من القيمة والاعتبار .

ولا جرم أن هذا الاستقلال لا بد أن يلازمه نصوع فكري . فالفكر الناصع يقدم آراء تغني عن التفسيرات والتآويل ، وتتسم بالعمق والوضوح والشخصية الفردية المتميزة ، في حين لا يقدم الفكر الغامض سوى العناوين الباهرة ، والجمل الرنانة ، والعبارات الفضفاضة ، والمعاني المستغلقة حتى على أصحابها .

التجربة

ومن مقومات شخصية الكاتب « التجربة الذاتية » التي تقوم على دعامتين رئيسيتين هما : المعاناة والوعي . فالوعي هو اليقظة الفكرية التي تواكب التجربة المعاشة ، وهو الذي يمنح العقل متعة الوجود ، فيرقى به من مجرد حادث عارض الى مصاف فعل له قيمة ما . وكذا المعاناة فهي بدون الوعي تظل مجرد انفعالات نفسية تجاه موقف من المواقف ، سرعان ما تذوب في بحر من التقلبات الوجدانية المتلونة التي تفرضها طبيعة ظروف الحياة المتغيرة .

فالتجربة الواعية تزوّد الكاتب بطاقة من الأبعاد الفكرية ، واللمسات الخلقية التي تجد لها مستقرا في نتاجه الفكري ، كما تزوده بطاقة من الأبعاد النفسية ، واللمسات الواقعية التي تجد لها صدى في نتاجه الوجداني .

والأديب الذي عانى تجارب متنوعة في ظروف مختلفة ، كالحب بلونيه السعيد والتعيس ، وحياة الرخاء والشدة ، والتعري الفكري والوجداني ، والاستغراق في العمل ، ومجابهة متطلبات العصر .. الى غير ذلك ، لا يعود بحاجة الى سماع الآخرين اللهم الا بقصد مقارنة تجاربه بتجاربهم . فتجارب كهذه كفيلة بأن توجد انسانا معانيا ، وكفيلة أيضا – اذا ما واكبها الوعي – بأن تساهم في تثبيت تفكير واقعي ، ونظرة بعيدة ترى الأمور على حقائقها . والكاتب المعاني ليس بحاجة الى شيء سوى التذكر . والأديب الذي يتذكر صورة من صور ماضيه ، انما يتذكر واقعا عاشه ، وبالتالي تأتي صوره أشبه بالصور الواقعية.

لذا فللزمن أثره في حياة الكتاب ، اذ كلما تقدمت السن بالكاتب كلما ثرّت تجاربه واغتنت ، شريطة وجود الوعي ، واستمرار نمو الذاكرة . وهذا مما يضفي على نتاجه الأبعاد الفكرية والواقعية التي سبق الالماع اليها .

النقد الذاتي

ومن الجوانب التي تكوّن شخصية الكاتب النقد الذاتي . وهو عملية مركبة ، تتطلب انقسام الذات المفكرة ، بحيث تكون ذاتا كاتبة وأخرى ناقدة في الوقت عينه . فالكاتب حين ينقد نتاجه ، يحاول أن ينسلخ من نفسه ككاتب ليقف منه موقف الناقد . وهو بين هذا وذاك ، بين دفاع وهجوم ، موزع التفكير تحليلا وتركيبا .

والنقد الذاتي يظل ضربا من الاستحالة ، ان لم يقم على أسس موضوعية ، عمادها التفكير المنظم ، والحساسية المدربة ، والصدق في تقييم النتاج ، والجرأة على الاباحة بمواطن الزلل ، والتجرد من العاطفة ، والا انقلب الى غير الهدف المنشود ، وتحوّل من بحث عن نقاط الضعف الى بحث عن نقاط القوة ، فيغشى بصر الناقد عن الفجوات ، ويظن أن النتاج الذي بين يديه متكامل ، يرتفع فوق كل نقد سلبي ، مهما كان مصدره .

وتختلف صعوبة ممارسة هذه العملية بالنسبة لزمن النتاج . فكلما كان هذا النتاج قديما كانت العملية أيسر وأسهل . فالكاتب يستطيع الكشف بوضوح عن مواطن الضعف والزلل في مقالة أو قصيدة أو مسرحية كتبها منذ عام خلا ، في حين يعجز عن مثل هذا الكشف ، بذات اليسر والوضوح ازاء نتاج أدبي حديث .

ان النقد الذاتي ، ركن أساسي من أركان بناء الشخصية الأدبية للكاتب ، اذ يعيش تجربة من أروع تجارب الازدواجية (الذات الكاتبة والذات الناقدة) ، وأسماها ، وأقدرها على اغناء الموهبة وتنقيح النتاج . وهي في الوقت نفسه ركن من أركان بناء شخصيته النفسية ، اذ تجعله يضع الأمور الشائكة موضع بحثه ، فيتعرض لها بالنقد والدراسة الى أن يخرج في النهاية برأي مدروس لا عجالة فيه . زد على ذلك أن النقد الذاتي يسهم في بناء شخصية الكاتب ، اذ يصبح أكثر تقبلا لسماع النقد الموجه اليه من قبل الآخرين ازاء أعماله التي تكون موضع اختلاف في التقدير والتقييم .

عبء الكلمة

الكلمة لها فعلها المؤثر في العلاقات بين الكائن وأقرانه في جميع المستويات . فهي تجمع الأعداء ، أو تفرق الأصدقاء ، تشعل الحرب ، أو تنشر السلام ، وتشيع الاستقرار والازدهار والرخاء .. والكلمة لها تأثيرها في امداد تراث الأمة الثقافي أو توجيهه أو تطعيمه بمادة نتاج الكاتب. ولذلك فهو مدعو دائما الى توجيه كبير اهتمامه وفائق عنايته نحو ما يخطه يراعه ، ويسطره مداده ، بدافع من الضمير الشخصي والضمير الجماعي ، حتى يقول الكلمة حقا وصدقا .

والشعور بهذه المسؤولية يتطلب تربية اجتماعية ونفسية رفيعة ، بحيث يعتاد المرء التفكير قبل التعبير قولا وكتابة ، والروية العقلية ، والتفكير المتزن ، كما يعتاد احترام أفكار الآخرين وعواطفهم وعاداتهم .

والكاتب الحق هو الذي يتحمل مسؤولية ما يصدر عنه . فاما أن يدافع عن آرائه ، أو يعلن تنازله عنها . وفي كلتا الحالتين يجب أن يكون الحق رائده .

وبعد ، فاننا نلمع الى أن هذه الجوانب التي ذكرناها – ايرادا لا حصرا – تشكل كلها لبنة واحدة تتآلف وتتشابك وتتآزر في بناء شخصية الكاتب ، يواكبها الدأب اليومي ، والمثابرة المتواصلة والدراسة المستفيضة والبحث العميق ■

محمد وليد فستق – الرياض

اللحن الصامت

للشاعرة روحية القليني

دنياي مُدّي لي اليدين وطوّقي — قلباً مُعنىً بالجروح ترفقي
إن ابتساماتي على اشراقها — تخفي أسىً خلف الحديث المشرق
أنا بين كل الناس طيرٌ منشدٌ — فاذا انفردت حطامَ قلبٍ محرَقِ
وأمدهم بحنانِ قلبيَ وارفاً — رغم الفؤادِ المتعبِ المتمزق
واذا شكوْا أصغيتُ ملء عواطفي — واذا شكوتُ فللضياع المحدق
وأُحبّ من أعماق قلبي انما — أُخفي الهوى وكأنني لم أعشقِ
فالحب عندي نفحةٌ علويّةٌ — طيّ الفؤاد وفي كيانٍ مُوثَقِ
لا تسخري من دمعِيَ الغالي شجىً — فالدمعُ سلوى الساهرين ، فأشفقي
والسهد يا دنيايَ لو جربتِهِ — لعذرتِ جفناً ساهرا لم يُطبقِ
من ذا الذي يدري أسايَ ولم أبح — من ذا الذي يدري الشعورَ ومنطقي
شكواي أنغامٌ ولحنٌ صامتٌ — ضمّتْه أوراقي بقلبٍ شيق
مثل البنفسجِ في حياءٍ حالم — وينمّ عنه عبيرُ زهرٍ مونقِ
العمر يمضي ليلةً في ليلةٍ — هل تسعدين بحقّ ربك ما بقي
أم تبخلين عليّ بالحلم الذي — أحيا على أطيافه بتشوّقي
طوفي بكأسٍ من عبيرٍ بعدما — قد ذقتُ مُرّ الكأس بالأمس الشقي
ان الحديثَ الحُلْوَ يُسْعِدُ خاطري — ويشعّ في درب الحياة الضيق
والبسمةُ النشوى تُشعشع في دمي — لا تبخلي أبداً بسرّ تألقي
الكلمة الرعناء تُقلق خاطري — وكأنها الناقوس دقّ بمفرقي
والرقة انسابتْ على شفة الهوى — وعبيرُها يطويه أجمل زورق
تَسْبِي فؤادي بالجمالِ معطرا — وأنا أعيش على السنا المتدفق
إنّي هنا روح ومعنى هائم — فترفقي بالروح حتى نلتقي
وضعي يديك على الفؤاد وهدهدي — قلبا يعيش على الحنان المغدق
قلباً يذوب هوى بهمسة ساحرٍ — يطوي الأسى طياً بلمسة مُشفق
في المهد رغم العمر أني طفلة — هل تسعدين الطفل بالحب النقي
وتدللين ربوعه بأمومة — رغداء ترويه بفيض تدفق
أشكو إليك ومنك كلُّ شكايتي — كفّي وربّك بالفؤاد ترفقي

روحية القليني – القاهرة


ع. قباني

سيف ذو يزن

بقلم الاستاذ عبد الله حشيمة

في السنة ٥٢٣ ميلادية احتلّ الأحباش — بقيادة أبرهة الأشرم — اليمن ، وفي السنة ٥٧٠ أخرجهم سيف ذو يزن ، بعد حرب ضروس ، منها . »

— غمرتني يا عمّ بفيض من كرمك ، وأرى أنك غريب مثلي ، وان طابت لك الاقامة في هذه البادية ، فهل لي أن أعلم من أنت ، ومن أين أنت ؟

كان ذلك في مكان ما من بادية الشام ، والحديث بين اثنين : فتى يتمتع بالكثير من معطيات القوة ، وكهل يبدو وكأنه يرزح تحت جبل من همّه ، برغم تجلّده وتعاليه عن الظهور بمظهر من يحمل همّاً .

والقدر حمل الفتى الى الكهل ، وأنزلــه ضيفا عليه . وأثّر فيه كرمه ، وأدرك بدقّة فراسته أن له قصّة ، وما اقامته حيث يقيم الا فصلا من فصول قصته ، فلم يتمالك من طرح السؤال الذي طرحه عليه :

من أنت ، ومن أين أنت ؟

ولعل الكهل أدرك هو كذلك أنه أمام فتى له قصة ، وان لم تكن قصّة هذا الفتى كقصته ، فانها في الأقل مما يحمله الفضول على معرفتها ، قــال :

— أما أنا فأدعى عبد الله ، وأما بلدي ، أما أتاك نبأ البلد الذي نكب بما لم ينكب بلد عربي بمثله ؟

وخفق قلب الفتى ، وكأنما هو يخفق بكل ما في نفسه من شعور عميق ، ولم يتمالك من الهتاف قائلا :

— اليمن تعني ؟

وأدهشت عبد الله اللهجة التي أرسل بهــا هتافه ، فأيّ صلة لهذه اللهجة بنكبة بلده ، وبشعور كل يمني مغترب يرى أن طيب العيش فارقه ، منذ أن اضطر الى مفارقة ذلك البلد ؟

ولم يتسرّع في السؤال عما أدهشه ، وتمالك قائــلا :

— اليمن أجل .. البلد الذي عانى وما يزال يعاني من احتلال الغريب المعتدي ما حملني والكثيرين من أبنائه على النزوح عنه .

قال الفتى متمالكا بدوره :

— أعرف أي حرقة من ذلك في صدرك ، وأسأل عما يدعو أمثالك النازحين عن ذلك البلد المنكوب الى القعود عن نصرته ؟

— انفرط العقد ، يا بنيّ .. وليس ثمة من يجمعه ، بعد من كان قادرا على جمعه .

— ومن ذاك ، يا عم ؟

— ذو يزن .

قالها الكهل شارقا بالدمع .. وكاد الفتى يجاريه في ارسال دمعه ، الا أنه تمالك عن ذلك ، وردد قوله :

— ذو يزن ..

وتابع الكهل ، وكأن ذكرى الرجل الذي « انفرط العقد » بعده سهم يشك في قلبه :

— البطل الذي كان لي شرف رفقته ، ورأيت



بأي روح كبيرة كان يدعو اليمنيين المشتّتي الشمل الى التجمّع ، حتى اذا كان على وشك النجـاح في أداء رسالته الوطنيـة السـامية وافاه أجله .

ولم يتمالك الفتى بعد عن البكاء ، ورآه الكهل يبكي ، قال :

— أتبكي ، يا بني ؟!

قال الفتى ، وكأن القوة التي تملأ إهابه تحولت ضعفا :

— أجل ، يا عم .. ان لم يكن على والدي ، وقد مات موت الأبطال ، ففي الأقل على مصير بلدي وأهل بلدي .

قال الكهل دهشا :

— على والدك ، وعلى بلدك ، وأهل بلدك .. من أنت بالله ؟

قال الفتى :

— سيف ذو يزن .

ويا لها من كلمة لم يصدق الكهل أنه يسمعها ، في حين كان طول الاغتراب والانفراد والانتظار لم يبق لـه أي أمل بانفراج الأزمة التي كان يعاني أساها ، فصاح :

— سيف .. سيف ذو يزن أنت ؟

قال الفتى وقد طفح أساه :

— أنا هو ، يا عم .. أنا هو السيف اليمني الذي أحسه يتحطم في غمده ، قبل أن يتاح له الخروج من هذا الغمد ، لانقاذ قومه وبلده .

قال الكهل باكيا :

— دعني اذن أطبع على جبينك قبلة ، وأشم فيك رائحة أبيك .

وقبّله فرحا ، وتابع :

— لقد عاد ذكر أبوك الى الحياة ، وعاد اليّ شبابي .. فأنا منذ الساعة رفيقك ، والصوت المدويّ في آذان بني قومنا وضمائرهم ، الى أن لا يبقى في بلاد العرب يمني لا يحمل السلاح ويسير تحت رايتك .

• • •

اليمن تهتز للبشرى .

ذو يزن فارق الحياة ، وفارق الأمل باسترداد الأرض المغتصبة بني قومه ، وعضّ هؤلاء على جرحهم البليغ يأسا .

وها هوذا ابنه يظهر على المسرح ، والابن سرّ أبيـه .

وأنباء زحفه يتجاوب صداها ، في السهول والأودية والجبال ، في المدن والقرى والد ساكر ، وصوت عبد الله رفيق سيف الأمين يدويّ :

— الى السلاح ، يا يمنيّون .

واليمنيون يجمعون صفوفهم ، وصهيل خيولهم يتجاوب وصليل سيوفهم ، فاذا هم الرجال الذين لم ينسهم احتلال المغتصب أرضهم كيف يحملون السلاح ، وينتفضون لاثبات الوجود .

• • •

كانت عشيرة السكاسك احدى كبريات العشائر اليمنية ، اشتهرت بكثرة عدد المحاربين من رجالها ، وبشدة مراس هؤلاء الرجال وعنادهم في ساحات القتال .

ومن أمراء النخوة كان أميرهم .. ووصل خبر سيف اليه .. وحامل الخبر كان كبير معاونيه في ادارة شؤون العشيرة ، وممّن كان يعتمد عليهم في قيادة المحاربين من رجاله ، فقال له :

— أحقا ما جئت تحمل اليّ ، يا عبد شمس .. سيف ذو يزن يزحف ، والسيوف اليمنية تلتفّ حوله ، لانقاذ البلاد ؟

قال عبد شمس مؤكدا :

— أي والله ، يا أمير .

وتابع بحماسة :

— سيف ذو يزن ، ومن حوله فرسان كأنهم ملوك الجنّ ، يزحف زحفه ، وقد جعل شعاره : نحرّر اليمن ، أو نهبها الأرواح .

— مرحى ، مرحى .

هتف الأمير متحمسا ، وتابع :

— لقد طال زمن النكبة ، ومن القيود كما من الخراب ، صرخات : الثأر ، يا عرب .. ولن تكون عشيرة السكاسك في المؤخرة ، وهي من تعوّدت السير في الطليعة ، كلما دعى الداعي الى الجهاد .

وسكت لحظة وكأنه يستعرض في سكوته قدرته على الاسهام في العمل الذي يدعو اليه الواجب ، ثم قـال :

— عبد شمس .. ما عدد سيوفنا ؟

قال عبد شمس :

— خمسة آلاف ، يا أمير .

— تمضي الى سيف حيث هو ، وتقول له : ان الخمسة الآلاف من سيوفنا تمشي وراء سيفك ، وعهدنا العهد الذي قطعته على نفسك : في سبيل الحياة الحرة ، أو الموت .

— أما يمضي سواي بهذه المهمّة ؟

— سواك ... لمه ؟

— ان الخمسة الآلاف من سيوفنا يجب أن يتبعها كل سيف عربي ، وقد رأيت أن أمضي الى العشائر داعيا لذلك ، حتى اذا كانت الساعة المنتظرة ، لم يبق في بلاد العرب سيف متخلّف عن ساحة الشرف .

قال الأمير متأثرا :

— سنبعث سواك لهذه المهمة ، ويهمني أن تكون ممثّلي لدى سيف ، فيعلم أن أمير السكاسك الى جانبه منذ الآن .

ودخلت في تلك اللحظة ابنة الأمير ، عربية أصيلة ذات جمال ، وقالت :

— أبي ..

قال الأمير وقد انبسطت أساريره :

— مالك ، يا شما ؟

قالت : سمعت حديثك وعبد شمس ، وأراني مدعوّة الى القيام بعمل ما ، أسوة بكل عامل لتحرير بلدي المعذب .

قال ، وفي عينيه ما ينمّ على ما يختلج في صدره من حب لها :

— أنت ، يا بنية .. وما في وسعك أن تعملي لهذا البلد ؟

قالت : اني يمنية عربية ، ولا تسأل من كانت مثلي عما في وسعها أن تعمل لانقاذ بلدها من الطغيان الأجنبي .

قال : سألتك يا بنية ، لا لشك داخلني في اصالتك ونبلك ، بل لأبارك لك في عملك .

قالت : تدعني اذن أمضي الى القبائل لأؤدي الواجب الذي كان على عبد شمس أن يؤديه عندها .

قال : لا أمنعك يا شما من أداء هذا الواجب ، ولكني .. أخشى أن لا تكوني قادرة على تحمل المتاعب التي تعترض السبيل اليه .

قالت ، وقد رفع العنفوان قامتها :

— من يحمل قومها السلاح لخوض غمار الوغى ، في سبيل قضية مقدسة كقضيتنا ، يهون عليها البذل من عرقها للاسهام في جهادهم .

• • •

أفلح الأمير سيف ، مع من انضم اليه من القادة الأنصار ، وعلى رأسهم مرافقه العنيد عبد الله في جمع عدد كبير من المحاربـين الأشداء حوله .

ومع ذلك فقد كان يتريّث في القيام بعمليات حربية ، علما منه بأنه أمام عدوّ جبّار ليس من السهل استفزازه قبل استكمال الأسباب التي تضمن النصر عليه . والصبر في أي حال جميل ، وعلى الله الاتكال .

وفي جملة المتوافدين لوضع طاقاتهم ، في خدمة القضية التي من أجلها يجاهد ، كان عبد شمس مندوب أمير السكاسك .

وسيف لا يجهل من هم السكاسك ، والقوة التي يمثّلونها .

ولذا كان ارتياحه الى قدوم ممثلها اليه شديدا ، وبعد استقباله بكل ما هو أهل له من الترحاب ، قال لـــه :

— لعشيرة السكاسك تقديري الكامل ، يا عبد شمس .. انها العشيرة التي كتبت للعروبة في تاريخها سلما وحربا صفحات مجد ليس بكثير أن تضيف اليها الصفحة التي تريد اضافتها اليوم . وبعد لحظة تفكير ، تابع :

— وشمّا .. أعلى عاتقها ألقيت مهمة الدعوة في القبائل ؟

قال عبد شمس :

— إرادتها تلك ، أيها الأمير .

— أعرفها .. انها مثال العربية الأصيلـــة ، بما تجمع في نفسها الكبيرة من فضائل ، وما أشك في أنها ستوفق في دعوتها ، وسأكون مدينا لها بالكثير من أسبا ب الظفر الذي أنا اليوم أكثر من أي يوم مضى واثق بأنه سيكون حليفنا .

قال عبد شمس :

— ليس في الجهاد من أجل الحرية دائن ومدين. وان كان لا بد من دائن ، تكون أنت أيها الأمير ، أنت من يجب أن تعترف البلاد بدينه ، لأنك تتحمل مسؤولية قيادتها ، من غير أن تعبأ بالصعاب التي تعترض الاضطلاع بأعباء هذه المسؤولية .

وبعد لحظة سكوت ، قال سيف :

— وما عندكم من أنباء مروق ؟

ومروق كان ابن يكوم ، وحفيد أبرهـــة الأشرم ، وخليفتها على العرش الحبشي اليمني ، فقال عبد شمس :

— مروق .. على خطى أبيه وجده يسير : يخرب البلاد صناعة وتجارة وعمرانا ، وينكل بالأحرار أنّى وجد سبيلا الى التنكيل بهم ، والنار تحت الرماد .

— وما عدد جيشه ؟

— يقدر بمئة ألف ، وأفياله كثيرة .

— لن تخيفنا أفياله .

قالها سيف بقوة وايمان ، وتابع :

— أما عدد مقاتليه فستعرف قلّتنا كيف تهزأ به ، لأن من يقاتل مؤمنا بحقه ورسالته غير من يقاتل وهو يعلم أن لا حق ولا ايمان بأي رسالة لـــه .

وقال أخيرا :

— اننا زاحفون .. ومن يتقدم في السبيل الذي نتقدم فيه لا يتراجع ، فاقرأ أميرك يا عبد شمس سلامي ، وملتقانا في أرض الأنصاب .

• • •

راحت شما تطوف في القبائل ، وكلما أوغلت في التطواف ، ازدادت نار حماستها اشتعالا ، وصوتها يدوي :

— يا أهل اليمن ... طال اليوم على الضيم ، وسيف ذو يزن يدعونا صليله الى اليقظة ، فهلا التففنا حوله كبارا وصغارا ، وخلعنا نير الاستعباد ؟

ولصوتها المدوي صدى واحد :

— لبيك سيف ، لبيك .

— الى السلاح ، الى الجهاد .

• • •

في أرض الأنصاب تلاقى اليمنيون ، فاستقبلهم سيف القبيلة بعد القبيلة ، واستعرضهم أخيرا بالكثير من الحماسة والأمل قائلا :

— يا هلا بكم ، أبطال اليمن .. يا هلا بكم من أي حيّ جئتم ، وسيعلم عدوكم أن بلدا أنتم سيوفه وحماته ، وأنتم من اذا دعاكم لبيتم بأجسادكم وأرواحكم ، هو بلد لا يموت .

وتعالى الهتاف :

— مرحى سيف ، مرحى .

وارتفع صوت عبد الله المتهدّج تأثـــرا فوق كل صوت :

— يا ابن ذي يزن ... لكأني أرى أباك ، وقد خرج من ترابه مزهوّا ، يرفع يديه فوق رأسك ويباركك .

• • •

الحرب وهولها ورعبها وقوتها وضحاياها .. على رأس جبهتها الواحدة سيف اليمني ، وعلى رأس جبهتها الأخرى مروق الحبشي ، وكل من الاثنين يرى في وجود الآخر زواله ، وكي يبقى هو لا بد من ازالة الآخر من الوجود .

ولهذا يتهيأ الفريقان .

ودنت الساعة .. وجاء من يعلن أن مروقا يزحف بمشاته وفرسانه وفيلته وبكل قواه لمعركة كبرى فاصلة ، من معارك تقرير المصير .

وتلقى سيف الخبر برباطة جأش ، وقال لقواد جيشه :

— أما أن يزحف مروق علينا بكل طاقاتـــه الحربية فأمر كنا ننتظره ، وأما أن يدور في خلده أن النصر سيكون حليفه ، فهذا ما أدع لكم الرد عليه .

فتعالت أصوات الحاضرين :

— لن يكون له النصر ان شاء الله .

وكان عبد شمس في طليعة فرسان السكاسك ، وعند سيف الخبر اليقين عن فروسيته وشدة مراسه ، فقال لـــه :

— ما رأيك يا عبد شمس في فيلة مروق ؟

قال عبد شمس :

— أردد قولك أيها الأمير : ان هذه الفيلـــة لن تخيفنا .

— اذا عرفنا كيف نتقي شرها .

— ألك في هذا رأي ؟

قال سيف :

— الفيلة هذه سلاحها خراطيمها ، فاذا فقدت هذا السلاح ، أصبحت كالنعاج في ساحة القتال.

قال عبد شمس :

— نجرّدها من سلاحها .

— كيف ؟

— نضربه بالسيوف فنقطعه .

قال سيف :

— هذا ما أردت أن أقوله لك ، وإليك أكل مهمة تنفيذه .. اقطع بسيفك وسيوف فرسانك خراطيم فيلة مروق ، وكن أول من يشقّ للسيوف اليمنية طريق النصر .

• • •

دارت رحى المعركة الضارية .. معركـــة الحياة أو الموت .

وفي غمراتها استقتل المتحاربون . وضرب عبد شمس فيلة مروق .. ضرب خراطيمها بالسيوف .

وجنّ جنون الحيوانات الضخمة تلك من شدة الألم ، فاندارت نحو أصحابها تدوسهم بقوائمها وتسحقهم بهياكلها الجبارة سحقا .

ولهى ذلك الأحباش عن القتال ، وضعضع صفوفهم . واغتنم اليمنيون الفرصة الثمينة ، فراحوا يمعنون فيهم ضربا وقتلا ، فاذا الأرض ملأى بالجثث المتراكمة فوقها ، وبالهاربين منها يهيمون على وجوههم ، من غير أن يدروا الى أين ، ولا أي مصير كتب لهم .

وعادت اليمن لأهلها .

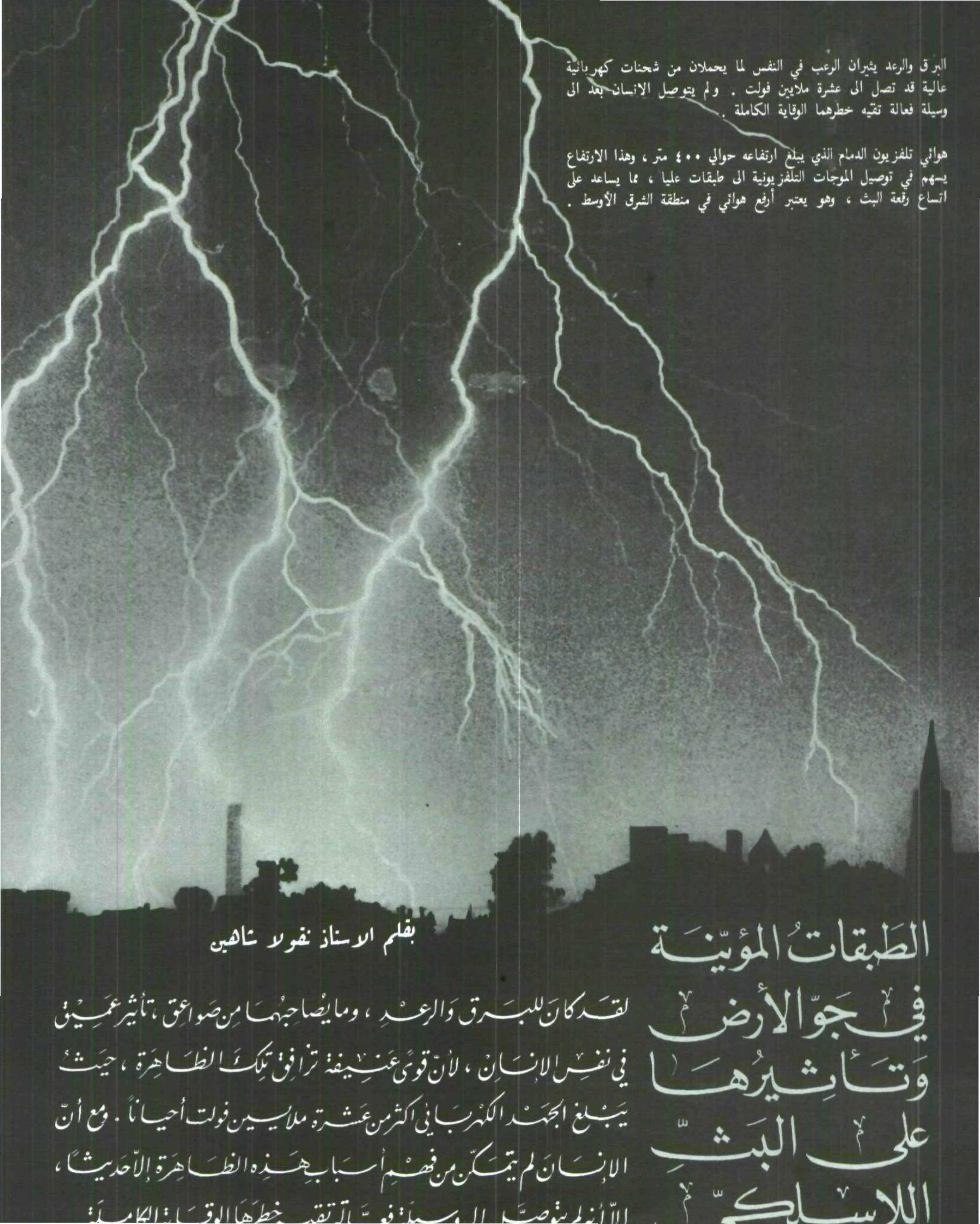
ووقف بعدها سيف ، بين قادة الجيش الذي كتب لـه النصر ، وأعيان البلاد الذين توافدوا لتهنئته ، وقال :

— يا أهل اليمن .. لقد أديت رسالتي ، وأنتم الآن في بلدكم الحرّ أحرار ، وهذا سيفي الذي شئتم أن تلتفّوا حوله مجاهدين ، وأن تفسحوا له في المجال الى النصر بسيوفكم ، أضعه بين أيديكم لتسلّموه أيّا منكم ترونـــه أهلا لزعامتكم .

وكان لقوله في جماهير الحاضرين تأثيره البليغ ، فهتفت تلك الجماهير السكرى بخمرة النصر :

— بايعناك الملك ، يا سيف ■

عبدالله حشيمة – بيروت



البرق والرعد يثيران الرعب في النفس لما يحملان من شحنات كهربائية عالية قد تصل الى عشرة ملايين فولت . ولم يتوصل الانسان بعد الى وسيلة فعالة تقيه خطرهما الوقاية الكاملة .

هوائي تلفزيون الدمام الذي يبلغ ارتفاعه حوالي ٤٠٠ متر ، وهذا الارتفاع يسهم في توصيل الموجات التلفزيونية الى طبقات عليا ، مما يساعد على اتساع رقعة البث ، وهو يعتبر أرفع هوائي في منطقة الشرق الأوسط .

الطَبقاتُ المؤيّنَة في جَوّ الأرض وَتأثِيرُها على البَثّ اللاسلكيّ

بقلم الاستاذ نقولا شاهين

لقَدكانَ للبَرق وَالرعْدِ ، ومايُصاحِبُهمَا مِن صَواعِق ، تأثيرٌ عَميقٌ في نفسِ الإنسَانْ ، لأنّ قوىً عَنيفةً ترافقُ تلكَ الظَاهِرة ، حيثُ يَبْلغ الجَهدُ الكهْربائي اكثرمن عَشرة ملايين فولت أحياناً . ومع أنّ الإنسَانَ لم يتمكّن من فهْمِ أسبابِ هَذهِ الظَاهرة إلاّ حديثاً ، الآنَ لم يتوصّل الى وسيلة فعّالة تقيه خطرَها الوقاية الكاملة

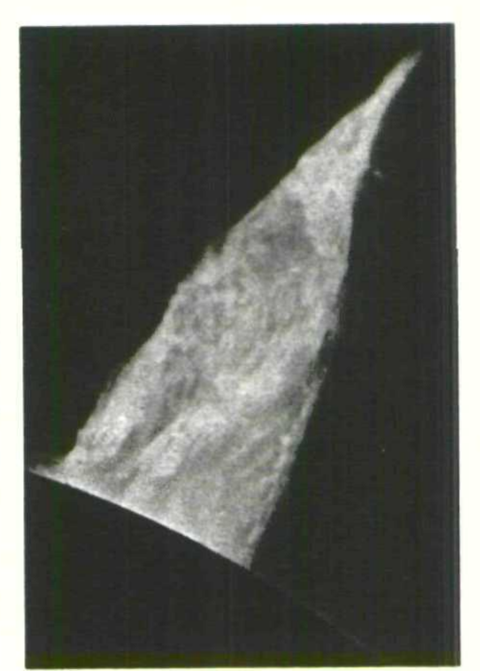


من المعروف أن شحنة كهربائية تظهر على سطح جسم ما اذا ما دلك ذلك الجسم بقطعة من القماش ، وقد عرف اليونان هـذه الظاهرة في القرن السادس قبل الميلاد ، نتيجة لدلك حبة من « الكهرباء » بقطعة من الحرير . ثم مر نحو ثلاثة وعشرين قرنا قبل أن يعرف شيء عن علاقة كهربائية الدلك بكهربائية الجو ، وذلك عندما أطلق « بنيامين فرانكلن » طيارته الورقية نحو سحابة راعدة عام ١٧٥٢م ، وتمكن من الحصول على شرارات كهربائية بواسطة حبل رطب . هذه التجربة أثبتت وحدة الظاهرتين . ومن هنا بدأ علماء الفيزياء يتوسعون في الوسائل لفهم الكثير من الحقائق عن كهربائية الجو ، على الرغم من اختلاف النظريات في طبيعة الشحنة الكهربائية ، وتأثيرها على ما يجاورها من أجسام ، فكان ان صنعت مانعات الصواعق التي كان لها الأثر في درء الأضرار عن المنازل والناس في مناسبات عديدة .

طبقات الجو العليا

تبين من الدراسات العلمية أن جو الأرض يتألف من طبقة رقيقة من الغاز ، يبلغ سمكها ثمانمائة كيلومتر تقريبا . وهذا الاعتقاد يرتكز على قياس علو نيزك عندما يرى بريقه لأول لحظة ، وعلى طرق علمية أخرى . كما ان كثافة الهواء تنقص كلما ارتفعنا عن سطح الأرض ، لذلك يصبح الضغط الجوي على ارتفاع خمسة كيلومترات نصف ما هو عليه عند مستـوى سطح البحر .

جـرى استكشاف طبقات الجـو أولا باستعمال مناطيد يحلق فيها العلماء ، ومعهم أجهزة تسجيل مختلفة الأنواع . وفي عام ١٩٣٣م سجل « بيكارد » الفرنسي رقما جديدا في الارتفاع حينما ارتفع في الجو الى علو ثمانية عشر كيلومترا ، وكان الضغط الجوي عند ذلك الارتفاع نحو ثماني سنتيمترات من الزئبق . وفي عام ١٩٣٤ تمكن طيار ايطالي من بلوغ نحو خمسة عشر كيلومترا فوق سطح البحر ، حيث سجل ميزان الضغط الجوي عشر سنتيمترات . ثم جاء بعد هذا اثنان من رجال سلاح الطيران الأميركي ، عام ١٩٣٥ ، وحلقا الى علو نحو اثنين وعشرين كيلومترا ، بواسطة كرة معدنية مفرغة ومقفلة اقفالا محكما ، ربطت الى منطاد مليء بغاز « الهيليوم » .



السنة اللهب المنطلقة من الشمس اثر انفجار في داخلها، والتي يبلغ ارتفاعها نحو ٣٦٠٠٠٠ كم في الجو ، ويرافق هذه الظاهرة انطلاق دقائق مكهربة تملأ الأجواء .

كانت هذه الطرق في استكشاف طبقات الجو صعبة ومحدودة المدى . لذلك عمد العلماء الى مناطيد صغيرة من المطاط مملوءة بالآيدروجين ، تحمل في داخلها آلات دقيقة لقياس الحرارة والضغط ، فيصعد المنطاد الى طبقات الجو العليا ، حيث يكون الهواء مخلخلا الى درجة عالية ، فينتفخ وينفجر ، ويسقط الغلاف ، الذي يحمل الأجهزة ، التي تعمل تلقائيا ، الى الأرض ، وتخفف المظلات ، المشدودة الى ذلك الغلاف ، سرعة هبوطه لكي تصل الأجهزة سالمة . وبهذه الوسيلة تمكن العلماء من الحصول على معلومات كان لها شأن كبير في فهم ما تصادفه الطائرات من عوامل غريبة أثناء تحليقها .

وهذه هي بعض الأرقام التي تبين درجة الحرارة عند بعض الارتفاعات :

الارتفاع	درجة الحرارة صيفا	درجة الحرارة شتاء
صفر	١٥ مئوية	٧ مئوية
٣ كم	− ٢	− ٩
٦ كم	− ١٦	− ٣٠
٩ كم	− ٣٨	− ٥٠
١٢ كم	− ٥٣	− ٥٧
١٥ كم	− ٥٢	− ٥٧
٢٠ كم	− ٥١	− ٥٧

من هذا يتضح أن الطائرة تتعرض الى حرارة متدنية عند ارتفاع ثلاثة كيلومترات ، وان الحرارة تهبط الى أدنى الدرجات عند علو اثني عشر كيلومترا . ومن أغرب ما سجلته المناطيد الاستكشافية ، هو وجود طبقة لا تتغير عندها الحرارة مع الارتفاع الا قليلا ، وهي تبتدىء عند علو أحد عشر كيلومترا . والمسلم به اليوم هو أن الهواء يتألف من طبقات ، الواحدة منها فوق الأخرى ، وتختلف كل منها عن غيرها في مقدار الرطوبة واتجاه الهواء وسرعته ، ويعود السبب في ذلك الى تسرب الهواء البارد الى أسفل وارتفاع الهواء الساخن الى فوق ، وذلك بسرعة تبلغ أحيانا خمسين كيلومترا في الساعة . وهناك أمور أخرى على جانب كبير من الأهمية ، سجلتها المناطيد الاستكشافية ، وكان لها شأن كبير في عالم الطيران.

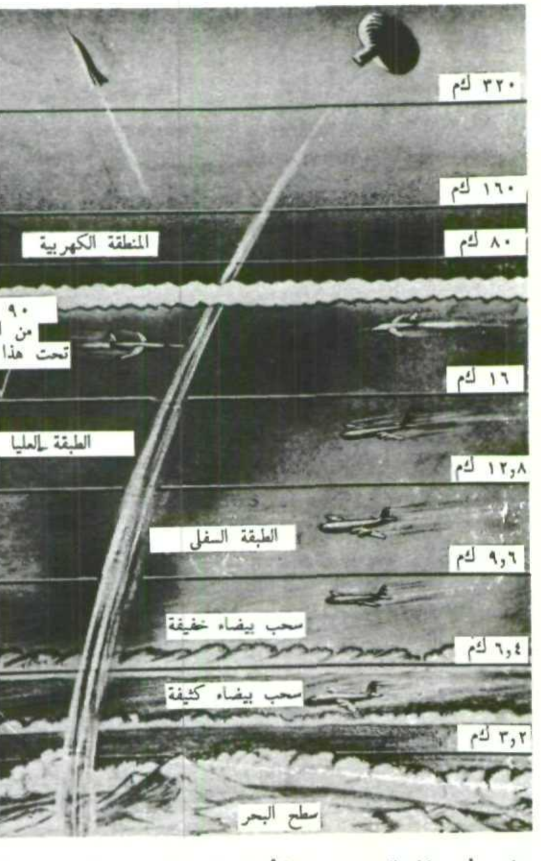
دثار الأرض الكهربائي

في عام ١٩٠١ تمكن « ماركوني » من ارسال اشارة لاسلكية لأول مرة بين أوروبا وأميركا ، فأحدث هذا الأمر تطورا كبيرا في معرفة الانسان لنواميس الطبيعة في ذلك العصر فيما يتعلق بانطلاق الأمواج اللاسلكية من المحطات التي تبثها . فقد كان الاعتقاد السائد عند جمهور العلماء في مستهل هذا القرن ان الأمواج اللاسلكية تنطلق من محطات الاذاعة في خطوط مستقيمة ، كأمواج الضوء ، فلا تجاري في سيرها تحدب الأرض ، وبالتالي تخترق الهواء وتغور في الفضاء وتتلاشى . لكن «ماركوني» تحدى الآراء السائدة في ذلك الزمن ، وقام بتجربته الحاسمة في أواخر سنة ١٩٠١ ، التي أثبتت صحة ما كان يجول في خاطره .

كانت هذه التجربة دليلا على أن هناك في أعالي طبقات الجو حالة كهربائية ، من شأنها أن تعكس الأمواج اللاسلكية وتردّها الى الأرض ، كما تعكس المرآة أشعة النور التي تقع عليها ، وقد دعيت الطبقة أو المنطقة المتواجدة فيها هذه الحالة « ايونوسفير » ، أي الغلاف الكروي المؤين . وعكف بعض العلماء على درس أوصاف هذه الحالة ، فتوصل « هيفيسيد » و « كنللي » الى استخراج هذه الأوصاف نظريا ، وأطلق على هذه الطبقة اسم « كنللي – هيفيسيد » نسبة الى هذين المكتشفين . ومن غرائب الصدف أن يتم هذا الاكتشاف في الوقت نفسه تقريبا على يد عالمين في قارتين مختلفتين ، فأحدهما انكليزي والآخر أميركي .

وكان على العلماء بعد ذلك أن يثبتوا بواسطة التجربة العملية وجود طبقة أو طبقات من الغازات المؤينة في أعالي الجو تعكس الأمواج اللاسلكية ، ولم يتم هذا الا في عام ١٩٢٥ ، على يد « بريت » و « توف » بمعهد « كارينجي » في واشنطن وفي « ابلتن » في انجلترا ، وذلك عندما تحققا من انعكاس الأمواج اللاسلكية انعكاسا مباشرا من طبقات الجو العليا على ارتفاع نحو ١٠٠ كيلومتر . وقد ثبت أن هذه الطبقة عرضة للتغير من حيث الشكل والارتفاع ، تبعا للأحوال الجوية ، ولتأثير فعل الشمس خاصة ، فتنخفض قليلا أثناء النهار لتأثير أشعة الشمس فيها . وهذا هو السبب في اختلاف قوة البث الاذاعي ليلا ونهارا بالنسبة الى الاذاعات ذات الأمواج المتوسطة الطول . ويرجع السبب في وضوح الاذاعات في الشتاء عنها في الصيف ، الى أن ساعات ليل الشتاء أطول منها في الصيف ، لذلك تكون تلك الطبقة من الغازات المؤينة مرتفعة في الشتاء ، مما يساعد على وصول الأمواج اللاسلكية الى أماكن بعيدة .

بيد أنه ظهرت حالات في البث اللاسلكي ، لم تتمكن طبقة « كنللي – هيفيسيد » من ايجاد تفسير لها . فهذه الطبقة من الغازات المؤينة معلوم عنها أن الاشارات اللاسلكية ذات الأمواج الطوال أو المتوسطة الطول لا تستطيع اختراقها ،



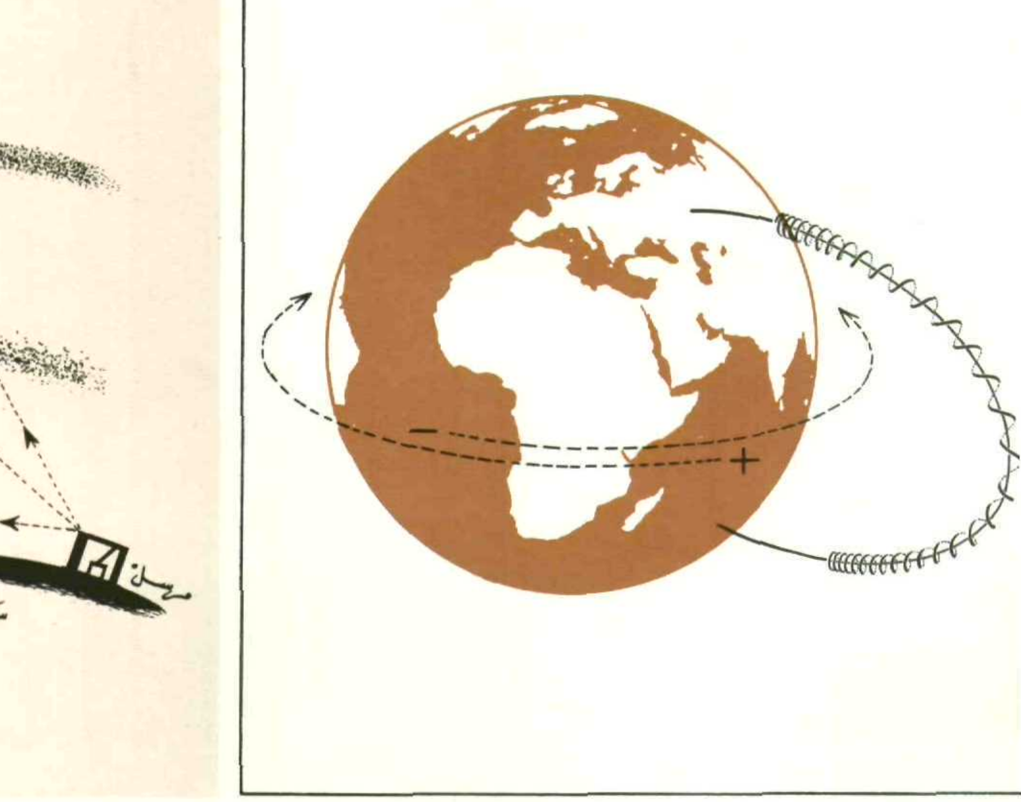
يظهر في هذا الرسم مدى الأبعاد التي ارتفعت اليها الطائرات والصواريخ والأقمار الاصطناعية للكشف عن طبيعة غلاف الأرض الجوي والكهربائي .

بل تنعكس عنها ، أما الاشارات ذات الأمواج القصار فانها تخترقها وتنفذ منها . ولكن لاحظ العلماء أن الاشارات ذات الأمواج القصار كانت ترتد أيضا ، وقد ظلوا في حيرة من هذا الأمر ، الى أن جاء « ابلتون » من جامعة لندن ، وأثبت في عام ١٩٢٧ اكتشاف طبقة ثانية تعلو طبقة « كنللي – هيفيسيد » ، وأشد منها تكهربا . لذلك فقد كانت أقدر على عكس الأمواج القصار ، التي تنفذ من طبقة «كنللي – هيفيسيد» .

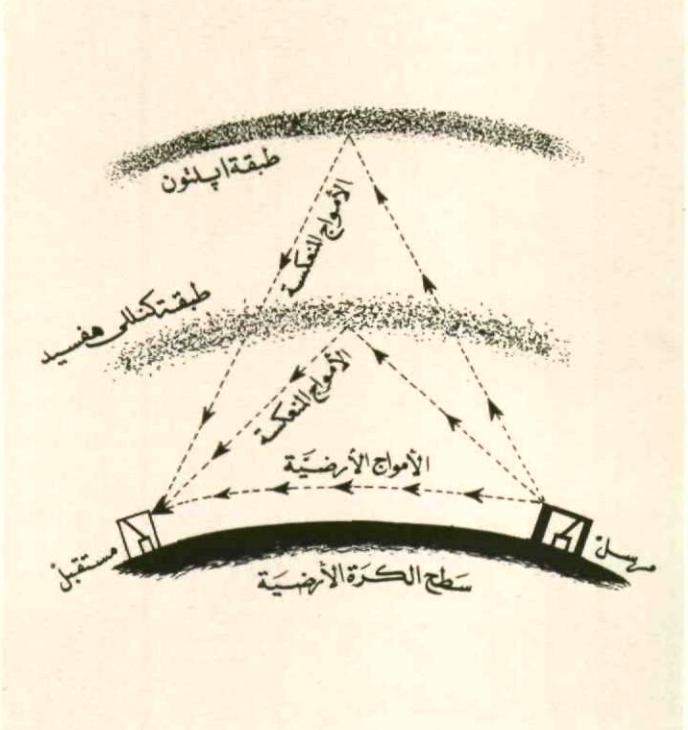
وكانت التجربة التي قام بها « ابلتون » في غاية الابداع ، فقد بث اشارة تلغرافية على موجة طولها ٣٠ مترا ، فانتشرت تلك الاشارة في جميع الجهات ، وتمكن من تسلمها في مكان يبعد عن مكان البث . ثم بث ثلاث اشارات أخرى ، أدى تفسيرها الى اكتشاف وجود طبقات مكهربة أخرى . فقد سارت الاشارة الأولى من محطة الارسال الى جهاز الاستقبال رأسا دون أن تصطدم بأية طبقة مؤينة ، فاجتازت المسافة في أقل مدة زمنية ممكنة ، وسارت الاشارة الثانية حتى التقت بطبقة « كنللي – هيفيسيد » فردتها هذه الى الأرض ، وسجلها جهاز الاستقبال بعد جزء ضئيل من الثانية بين وقت البث والاستقبال . أما الاشارة الثالثة فهي التي عكستها طبقة « ابلتون » الجديدة ، ويقدر علوها بمائتين وخمسة وعشرين كيلومترا ، استنادا الى الزمن الذي استغرقته الاشارة ذهابا وايابا . ولم يعلم « ابلتون » سببا لارتداد الاشارة الرابعة ، فافترض أنها معكوسة عن طبقة رابعة علوها نحو ٨٠٠ كيلومتر عن سطح الأرض .

هذه المعلومات ، من حيث علو الطبقات المختلفة ، ومدى تأثيرها على البث الاذاعي أثناء ساعات اليوم المختلفة وفصول السنة ، أضافت الكثير الى معرفة أفضل الأمواج طولا ، لايجاد حالات ملائمة للبث على مدار السنة . فالرأي السائد اليوم ، هو أن الاشارات ذات الأمواج الراديوية الطوال ، تسير في الهواء كما هو في حالته الطبيعية حول الأرض عند سطحها ، لا تؤثر فيها عوامل تؤدي الى تحولها عن خط سيرها . وتعرف هذه الأمواج بالأمواج الأرضية ، وهي لا تتمكن من اختراق الطبقة المكهربة الأولى ، بل تنعكس وترتد الى سطح الأرض . أما الأشارات ذات الأمواج القصار ، فان الأرض والطبقات المؤينة تصبح مناطق حدود لمساراتها ، فهي تنطلق مائلة الى الطبقات المؤينة التي تعكسها لتعود الى الأرض ، ثم تنعكس بعد ذلك من الأرض لتعود الى الطبقة المؤينة ، متبعة خطا متعرجا حول الأرض . وقد تبين أنه في كثير من الحالات تسير الموجة القصيرة عدة مرات حول الأرض ، قبل أن تتلاشى تدريجيا بسبب النقص في طاقتها عند الانعكاسات المتعددة .

وتتوقف قوة الطبقات المؤينة في عكس الأمواج ، على الكثافة الكهربائية في كل طبقة ، لذلك تخترق بعض الأمواج القصار طبقة سفلى وتنعكس من طبقة فوقها . وهناك أمواج غاية في القصر ، تنفذ من جميع الطبقات وتغور في الفضاء . أما الكثافة الكهربائية في الطبقات المختلفة ، فانها تتغير أثناء ساعات اليوم ومع تغير الفصول . وتتأثر الأمواج القصار أيضا بالتفريق أو الالتواء أثناء مرورها في طبقات الجو السفلى ، بسبب وجود بخار الماء . ولا شك بأن هذه الطبقات المؤينة تعكس الكثير من الأمواج اللاسلكية المنبعثة من الفضاء الخارجي ، فتمنعها من الوصول الينا . اذ لا تستطيع أجهزة علم الفلك الراديوي الا أن تلتقط تلك الأمواج التي تكون أطوالها في غاية القصر ، نظرا لتمكنها من اختراق الطبقات المؤينة .



قائق التي تصطادها الأرض تسير في مسارات لولبية ، ويكون مركز كل منها خط من الخطوط نطيسية ، وهي تدور حول الأرض في اتجاهين متعاكسين ، اذ يحمل الكهرب شحنة لبة بينما يحمل البروتون شحنة موجبة .



يظهر في هذا الرسم الموجات اللاسلكية في طبقات الجو ، وانعكاسها من الطبقات المؤينة .

يقع عدد كبير من الكهارب المنطلقة من الشمس في شرك مجال الأرض المغنطيسي ، ويصبح مضطرا لأن يتبع مسارا غير مستقر ، كما يحدث للكهارب في حزامي « فان ألن » (وهي المناطق التي تبدو مظللة في الرسمة) ويحدث ذلك عادة خلال الربيع والخريف.



صحن تلسكوبي لاسلكي يبلغ قطره ٦٠ قدما يستخدم لتوضيح أية بقعة من الفضاء ، ويمكن توجيهه الى أي اتجاه .

ماهية «الأيونات»

عرفت « الأيونات » أثناء دراسة طبيعة التيار الكهربائي ، وقد أدت هذه الدراسة الى معرفة أن الكهرباء ذات بنية متقطعة ، كالمادة ، وذلك عن طريق التعرف الى مقدرة المحاليل والغازات على نقل التيار الكهربائي . فالمعروف أن الماء الصافي لا ينقل التيار ، أما اذا أضيف اليه بضع قطرات من حمض كلور الماء أو قليل من ملح الطعام ، فانه يصبح ناقلا ، وذلك لانشطار جزيئات كل من هذين المركبين . فجزيء ملح الطعام ينشطر ، ويتولد عن ذلك ذرة « صوديوم » تحمل شحنة موجبة ، وذرة « كلور » تحمل شحنة سالبة . وقد دعيت هذه الذرات « المشحونة بالأيونات » أو «الشوارد» ، وقد كانت متماسكة قبل أن تنحل الجزيئات في الماء.

في عام ١٨٣٣ وضع « فاراداي » قوانين نقل التيار الكهربائي في المحاليل . أما النظرية التي جاءت تفسر مقدرة المحاليل على ايصال الكهرباء ، فكانت للعالم السويدي « ارهينوس » الذي نال جائزة « نوبل » عام ١٩٠٣ ، عقب اكتشاف « الكهرب » عام ١٨٩٥ على يد « السر طومسون » ، عندما كان يجري أبحاثه الفيزيائية في جامعة « كمبردج » . و « الكهرب » هو من أهم أركان القوة التي تربط أجزاء الجسيمات بعضها ببعض . والمسلم به اليوم في عالم الفيزياء ، أن «الكهرب» ينتقل من جسم الى آخر ، فيختل التوازن الكهربائي ، ويصبح لدينا تلك « الأيونات » ، المعروفة « بالشوارد » .

وعندما ننتقل لدرس مقدرة الغازات على نقل الكهرباء ، نجد أن الغازات بطبيعتها غير حائزة على هذه الصفة ، لكنها في حالة التأين تصبح مؤهلة لذلك . فالهواء عند سطح الأرض غير قابل للتوصيل الكهربائي ، ومناعته هذه تنقص كلما زاد الارتفاع ، وهذا يعود لازدياد عدد الأيونات أو الكهارب . فعند علو نحو ١٠٠ كيلومتر يصل العدد الى ٥ بلايين من الأيونات في السنتمتر المكعب ، وعند هذا الارتفاع توجد منطقة « كنللي — هيفيسيد » العاكسة . ولما كانت طبقة الجو المؤينة كثيرة التعقيد في تركيبها ، لما يطرأ عليها من تغيرات عديدة من حيث الارتفاع والاتساع وخلاف ذلك ، فقد لجأ العلماء الى البث الراديوي لمعرفة خواصها وكثافة الكهارب فيها . فأصبحت لديهم معلومات كافية عن القسم السفلي منها ، هذه المعلومات وسعت مدى البث اللاسلكي من ٣٠ مليون الى ٣٠٠٠٠ مليون ذبذبة في الثانية ، الأمر الذي حقق الاتصال العالمي لاسلكيا ..

والثابت أن الجو ليس مصدرا للحوادث الكهربائية أثناء العواصف فحسب ، بل ان الانسان أيضا معرض لكهربائية الجو في كل آن . ويتضح لنا ذلك اذا وضعنا في يوم صاف جاف ، ناقلا معزولا في حالة الاعتدال الكهربائي . فيتكهرب هذا الناقل ايجابيا في قسمه السفلي ، وسلبيا في قسمه العلوي ، وتفسر هذه النتيجة وجود مجال كهربائي في الجو ، تتجه خطوط قوته من الأعلى الى الأسفل ، فيزداد « الكمون الكهربائي » لهذا المجال كلما ارتفعنا في الجو . ومن قياس المجال الكهربائي الطبيعي على علو بضعة أقدام في الهواء فوق سطح الأرض ، يتضح أن الأرض تتمتع بشحنة كهربائية مقدارها ٤٠٠٠٠٠ « كولومب » ، فنحن اذن نمشي على سطح الأرض ورؤوسنا في الجو حيث يوجد جهد كهربائي مقداره ٢٠٠ فولط .

وتفقد الأرض من شحنتها الكهربائية بمعدل ١٨٠٠ أمبير ، وهذا يبلغ نحو ٩٠ بالمئة من شحنتها ، في مدة ساعة ، لكن الدراسات الدقيقة أثبتت أنه على الرغم من هذه الخسارة ، لا تزال الشحنة كما كانت عليه تقريبا منذ أول العصور الجيولوجية . لذا كان لا بد من البحث عن المصدر الذي يعيد الى الأرض ما تخسره . وأثناء هذا البحث برزت الأشعة الكونية ، كعامل رئيسي بين عوامل أخرى . وبالرغم من التقدم الذي أحرزه الانسان في هذا المضمار ، فان العلماء يعترفون بأنهم لا يزالون بحاجة الى معلومات اضافية .

مصدر «الأيونات»

توصل الباحثون الى افتراض وجود طبقة مكهربة في الجو ، أثناء بحثهم عن سبب حدوث الشفق القطبي وهو عبارة عن نور يتألق ليلا بشكل رقع منيرة ، أو ألسنة من نور ، أو أعمدة مستقيمة ، أو ستائر متموجة وسجف مضيئة ومتدلية من الأعالي ، أو خلاف ذلك من الأشكال البهية الرائعة . ويرافق هذه الظاهرة أحيانا عاصفة مغنطيسية كهربائية ، تعطل المواصلات البرقية والهاتفية ومحطات الراديو ذات الموجات القصيرة .

لقد ظن العلماء عند اكتشاف الاشعاع « الراديومي » ، في نهاية القرن الماضي ، أن الاشعاع في المواد والغازات الراديومية (وعلى الأخص غاز الرادون) ، هو السبب في تأين جزيئات الهواء . ولم يطل الوقت حتى تبين أن الهواء يكون موصلا للكهرباء ، حتى ولو بقي معزولا تماما عن أشعة « جاما » مهما بلغت قوتها . وهنا لجأ العلماء الى افتراض وجود أشعة أقوى من أشعة « جاما » ، مصدرها معدن مجهول في باطن الأرض .

وفي عام ١٩١١ حلق العالم النمساوي « فكتور هس » الى ارتفاع خمسة كيلومترات تقريبا ، فوجد أن التأين يزداد قوة مع الارتفاع ، فاستنتج من ذلك أن الأشعة ، التي هي أشد قوة من أشعة « جاما » ، مصدرها طبقات الجو العليا ، لا السفلى ، ودعيت تلك الأشعة « بالأشعة الكونية » . وجدير بالذكر أن هذا العالم منح جائزة نوبل عام ١٩٣٦ . ثم تمكن العلماء من تطوير طرق عديدة ، لاستكشاف أنواع الأشعة التي تصل الينا ، فاستخدموا أحيانا ألواحا فوتوغرافية تغبش بهذه الاشعاعات . وعند استخدام مستحلبات فوتوغرافية كثيفة ، يمكن فحص هذه الألواح بعد تحميضها تحت المجهر ، للتعرف على جزيئات جديدة . ومن العلماء الذين لمعوا في هذا المجال الأستاذ « باول » من جامعة « بريستول » في انكلترا ، وقد نال جائزة « نوبل » نظير جهوده ودراساته .

أما مصدر كهربة أعالي الجو فهو أولا الأشعة فوق البنفسجية في نور الشمس ، تلي ذلك الشهب والأشعة الكونية وتفوق طاقة الأشعة فوق البنفسجية في تأيين الهواء ، عشرة أضعاف المصادر الأخرى مجتمعة . وليس ذلك ، لأن هذه الأشعة أقوى فاعلية وأنفذ من الأشعة الكونية ، ولكن ما يصل الى الأرض منها أكثر بكثير مما يصل الى الأرض من الأشعة الكونية .

وفي عام ١٩٥٨ أضيف حدث مهم في عالم الاشعاع حول الأرض ، وذلك باكتشاف حزامي « فان ألن » بواسطة أجهزة تحملها صواريخ أو أقمار اصطناعية الى أعالي الجو ، وقد حلق أحد هذه الصواريخ الى علو ١٠٠٠٠٠ كيلومتر مكتشفا طبقة اشعاع عليا على علو نحو ١٦٠٠٠ كيلومتر . ويقول العلماء أن الألكترونات والبروتونات في هذه الطبقة ، هي ناتجة عن الريح الشمسية ، وهذه الريح تتألف من دقائق مشحونة تنطلق بسرعة تتراوح بين مليون ومليونين ونصف المليون كيلومتر في الساعة . وهناك أسرار تتعلق بالريح الشمسية ، لا يزال العلماء عاكفين على تفسيرها في ضوء ما هو معروف في حقل الدقائق الصغيرة المكهربة ■

نقولا شاهين — بيروت

اخبار الكتب

* يعكف العلامة الكبير الأستاذ محمد عبد الله عنان على اخراج مخطوطة « الاحاطة في أخبار غرناطة» لابن الخطيب في طبعة جديدة تقع في خمسة أجزاء ضخام . وكان المظنون أن النسخة المخطوطة من هذا الكتاب المودعة في جامع الزيتونة وقوامها ثلاثة أجزاء هي نسخة كاملة من الكتاب غير أنه تبين بالمقارنة بالمخطوطات التي عثر عليها العلامة عنان في مكتبة الاسكوريال، وهي آثار المكتبة الزيدانية المغربية ، أن هناك نحو ٧٠ ترجمة لم ترد في مخطوطة الزيتونة . وباضافتها وتحقيقها وشرح المتن وتخريج ما فيه من ألفاظ أعجمية وردها الى الصحيح ، تخرج المخطوطة في حجم مضاعف مستكملة الجوانب مزدانة بالفهارس .

ومن المخطوطات التي حققت أخيرا الجزآن الثامن عشر والتاسع عشر من كتاب « الأغاني » لأبي الفرج الأصبهاني وقد صدرا باشراف العلامة الأستاذ محمد أبو الفضل ابراهيم عن الهيئة العامة للكتاب ، و « أخبار الدولة العباسية » لمؤلف من القرن الثالث الهجري ، وقد صدرت عن مخطوط فريد في مكتبة ومدرسة أبي حنيفة ببغداد ، وقد حققه الدكتوران عبد العزيز الدوري وعبد الجبار المطلبي ، صدر عن دار الطليعة ببيروت ، والجزء الرابع عشر من « النجوم الزاهرة في ملوك مصر والقاهرة » لابن تغري بردى ، وقد حققه العلامة الراحل الدكتور جمال محرز وصدر عن الهيئة العامة للكتاب ، و « ما ينصرف وما لا ينصرف » للزجاج وقد حققته الأديبة هدى قراعة ، صدر عن المجلس الأعلى للشؤون الاسلامية ، و « غاية المرام من علم الكلام » لأبي الحسن الآمدي ، وقد حققه الأستاذ حسن عبد اللطيف صدر كذلك عن المجلس الأعلى .

هذا وتصدر تباعا عن معهد المخطوطات بالجامعة العربية الأجزاء العشرة من كتاب « سيرة أعلام النبلاء » للذهبي محققة بأيدي طائفة من العلماء ، كما يحقق الأستاذ حسين رشيد خريس مخطوطة « الفرح والتهاني في أخبار الحسن بن هاني » لمؤلف مجهول .

وقد صدر عن الهيئة العامة للكتاب الجزء الأول من كتاب « تاريخ التراث العربي » لمؤلفه المستعرب التركي الدكتور فؤاد سزكين الذي كل بما فات العلامة الألماني بروكلمان وهو يحصر التراث العربي ، وقد ترجم هذا الجزء الدكتور فهمي أبو الفضل .

* صدر أخيرا « معجم تيمور الكبير في الألفاظ العامية » للعلامة الراحل أحمد تيمور باشا ونشرته الهيئة العامة للكتاب .

وتحت الطبع معجم « المساعد » للعلامة العراقي الراحل الأب أنستاس ماري الكرملي ، وهو يصدر بتحقيق الأستاذ كوركيس عواد وزميله الأستاذ العلوجي ، وطبعة جديدة من « معجم الألفاظ الزراعية» للعلامة الكبير الراحل الأمير مصطفى الشهابي ، وهو يضم كذلك في نفس المجلد « معجم الألفاظ الحراجية » الذي صنفه الأمير الشهابي ، و « قاموس العادات واللهجات الأردنية » من تصنيف العلامة روكس بن زائد العزيزي .

* في السير والتراجم صدرت طائفة من المؤلفات منها « موعد مع الشجاعة » وهو سيرة الملك عبد العزيز آل سعود ، وقد وضعه الأستاذ قدري قلعجي وصدر في بيروت ، و « دراسات عن المقريزي » لطائفة من الأساتذة ، وقد نشرته الهيئة العامة للكتاب ، و « الصحابي الجليل سعد بن معاذ » للأستاذ ابراهيم محمد عبد العال ، وقد صدر عن المجلس الأعلى للشؤون الاسلامية ، و « الفضيل ابن عياض » للدكتور عبد الحليم محمود ، وقد صدر عن دار الشعب ، و « بطل الأبطال محمد علي كلاي » للأستاذ نجيب المستكاوي توزيع الأهرام ، و « كنجر شاعر أمريكا » للدكتور زاخر غبريال ، وقد نشرته الهيئة العامة للكتاب .

وتحت الطبع كتاب « نوابغ الفكر الاسلامي » للأستاذ أنور الجندي .

* من الكتب الدينية الجديدة كتاب « رسائل العدل والتوحيد » وهو في جزءين يضمان آراء للامام حسن البصري والامام القاسم الرسمي والقاضي عبد الجبار بن أحمد والشريف المرتضى والامام يحي بن الحسين ، وهو دراسة وتحقيق بقلم الأستاذ محمد عمارة صدر عن دار الهلال . كما صدر كتاب « التوجيه التشريعي في الاسلام » لطائفة من العلماء وقد نشرته هيئة مجمع البحوث الاسلامية بالأزهر .

* دراسات أدبية صدرت أخيرا وهي « فصول في الشعر ونقده » للدكتور شوقي ضيف وقد صدر عن دار المعارف ، و « أثر القرآن الكريم في اللغة العربية » للأستاذ محمد عبد الواحد حجازي وتقديم فضيلة الدكتور محمد عبد الرحمن بيصار ، ونشر مجمع البحوث الاسلامية بالأزهر .

كما أصدرت الهيئة العامة للكتاب مجموعة من الدراسات منها « قضايا ومواقف » للدكتور عبد القادر القط ، و « ثقافتنا بين الأصالة والمعاصرة » للأستاذ جلال العشري ، و « الأدب في عالم متغير » للدكتور شكري محمد عياد ، و « الروائي والأرض » للدكتور عبد المحسن بدر ، «والشعر الجاهلي » للدكتور سيد حنفي حسنين ، و « القصص الشعبي في السودان » للدكتور عز الدين اسماعيل ، و « مقعد صغير أمام الستار » للأستاذ رجاء النقاش ، و « المسرح وقلق البشرية » لتوشار وترجمة الدكتورة سامية أسعد ، و « القارىء العادي : مقالات في النقد » لفرجينيا وولف وترجمة الدكتورة عقيلة رمضان .

* في التربية وعلم النفس صدرت مجموعة من الكتب ، منها : «مدخل في علم النفس العام» للدكتورين أحمد فائق ومحمود عبد القادر ونشر مكتبة الأنجلو المصرية ، و « الاتجاهات الحديثة في تدريس الرياضيات لليونسكو» ، وقد صدر عن الهيئة العامة للكتاب ، و « تاريخ التربية في تونس » للأستاذ ابراهيم العبيدي التوزري ، وقد نشرته الشركة التونسية للتوزيع ، و « مرضى النفس في تطرفهم واعتدالهم » للدكتور محمد فرغلي فراج ، و « نظريات الشخصية » للندزي ، وقد صدر في جزءين مترجما بقلم الدكتور فرج أحمد فرج ، وكلا الكتابين الأخيرين من نشر الهيئة العامة للكتاب .

* الأديب الشاعر الروائي الاستاذ عدنان مردم بك أصدر مسرحية شعرية جديدة من أربعةفصول تناول فيها حياة « رابعة العدوية » ، وقد خرجت هذه المسرحية ضمن منشورات عويدات . وصدرت للأستاذ نجيب محفوظ رواية تحليلية جديدة عنوانها « المرايا » نشرتها دار القلم ببيروت . أما الروايات المترجمة فقد صدر منها « أنا وهو » لألبرتو مورافيا ، وقد ترجمها الأستاذ نبيل المهايني ونشرتها دار الأدب ، و « الموت السعيد » لألبير كامو ، وقد ترجمتها السيدة عايدة مطرجي ادريس ونشرتها دار الآداب ، و « القصر » لفرنز كافكا ، وقد ترجمها الدكتور مصطفى ماهر ، ونشرتها الهيئة العامة للكتاب ، و « وفاة غامضة » لأجاثا كريستي ، وقد ترجمها الأستاذ السيد وفائي ، ونشرتها دار الكتاب الجديد ، و « قطة وسط الحمام » لأجاثا كريستي أيضا ، وقد ترجمها الأستاذ صادق راشد ، ونشرتها دار الكتاب الجديد .

* مقالات في الأدب والدين والاجتماع صدرت للعلامة المغربي الأستاذ عبد الله كنون بعنوان «العصف والريحان» ، ونشرتها المكتبة العصرية بطنجة .

* من الكتب العلمية التي صدرت أخيرا « الظواهر الفلكية المرتبطة ببناء الأهرام » للمرحوم محمود باشا الفلكي ، وقد ترجمه الأستاذ محمود صالح الفلكي ، وقدم له الدكتور محمد رضا مدور ، صدر عن مكتبة الأنجلو المصرية ، و « الطريق الى القمر » للأستاذ سعد شعبان ، و « تكييف الهواء » للدكتور محمد علاء الدين ، وكلاهما من نشر الهيئة العامة للكتاب .

* كتاب جديد عن « البترول العربي » صدر للدكتور حامد عبد الله ربيع عن دار النهضة العربية .

* أحدث كتب الأستاذ يوسف السباعي كتابه « طائر بين المحيطين » وهو يصف فيه رحلاته في أنحاء العالم ، وقد صدر عن مكتبة الخانجي .

* عن دار عالم الكتب صدر كتاب « القيادة الادارية » للدكتور خميس السيد اسماعيل ■



حظيت مكتبة القافلة مؤخرا بالكتب الآتية :

«أوراق علمية» للدكتور فؤاد صروف، نشر دار الكتاب اللبناني ، وهي شبه مذكرات عن أعمال المجلس الوطني للبحوث العلمية بين سنتي ١٩٦٨ و ١٩٧١ . والكتاب يتكوّن من أربعة أبواب ، الباب الأول يقارن بين الذرة والمجرة ، والباب الثاني يحكي عن الانسان والبيئة ، والباب الثالث يتحدث عن معالم التقدم العلمي الحديث ، أما الباب الرابع والأخير فيحوي مطارحات علمية عربية . هذا وقد سبق نشر بعض فصول هذا الكتاب في « قافلة الزيت » كمقالات مستقلة .

• ضمن سلسلة التراث : « رسائل في النحو واللغة » ، وهو كتاب من ثلاث رسائل هي :

١ ـ كتاب تمام فصيح الكلام لأبن فارس .
٢ ـ كتاب الحدود في النحو للرماني .
٣ ـ كتاب منازل الحروف للرماني .

تحقيق وشرح وتعليق كل من : الدكتور مصطفى جواد والعلامة الراحل يوسف يعقوب مسكوني ، وصدر عن وزارة الثقافة والاعلام بالعراق .

• « في التربية وعلم النفس » للأديب يعقوب محمد اسحاق ، وهو عبارة عن أبحاث تقع في ثلاثة أبواب ، الأول والثاني خصهما الباحث بعلم النفس والتربية والنظريات في هذا المجال ، أما الباب الثالث فقد خصه بشخصية تربويـــة مرموقة في المملكة العربية السعودية . وقد صدر الكتاب عن مؤسسة الطباعة والصحافة والنشر بجدة .

• ومن كتب التراث « الفاضل في صفة الأدب الكامل » للوشاء محمد بن أحمد بن اسحق ، وهو كتاب قيم حققه العلامة الراحل يوسف يعقوب مسكوني ، وقد صدر عن وزارة الاعلام في العراق ، وطبع في مطبعة شفيق ببغداد .

• « كناشة معلم » كتاب يبحث في التربية والتعليم للأديب الأردني محمود العابدي نشر جمعية عمال المطابع التعاونية بعمان .

كما وصلنا للمؤلف نفسه كتاب بعنوان « قدسنا » قام بنشره معهد البحوث والدراسات العربية التابع للجامعة العربية طبع مطبعة الجبلاوي بالقاهرة .

• « الجزء الثاني والثالث من سلسلة موسوعة العتبات المقدسة » عن مكة المكرمة والمدينة المنورة للأستاذ العلامة جعفر الخليلي ، وهما صادران عن دار التعارف ببغداد .

• « الشوق واللقاء » للأديب القاص فاضل السباعي ، وهو مجموعة قصصية ، وقد صدر عن منشورات الأصدقاء طبع مطبعة الشرق بحلب .

• « في سبيل الكفاح » و « ثمن الكفاح » كتابان للأديب عبد المحسن بن عثمان أبا بطين ، الأول صادر عن المطبعة اليوسفية بالقاهرة والثاني صادر عن دار الاتحاد العربي للطباعة بالقاهرة .

• « الاتجاه الشخصاني عند خليل رامز سركيس في كتاب « جعيتا » للدكتور إميل المعلوف ، وقد صدر عن منشورات الندوة اللبنانية ببيروت .

• أما في مجال الشعر فقد وصلتنا الدواوين التالية للشاعر نهاد رضا :

١ ـ ميلاد شاعر .
٢ ـ شعر في لوحات .
٣ ـ هكذا حدثني القلب .
٤ ـ الرعشة الأولى .

وجميعها صادرة عن مطبعة دار الحياة بدمشق .

• رسالتان مهداتان ، الأولى من مصر عـــن عبد القادر الجزائري تحت عنوان « بطولات عربية » بقلم عصمت والي، صادرة عن الهيئة المصرية العامة للتأليف والنشر طبع المطبعة الثقافية بالقاهرة وهي مطبوعة طباعة أنيقة .

والثانية من تونس بعنوان « محمد العروسي المطوي » صادرة عن دار الثقافة ـ ابن رشيق ، وطبع المطبعة الرسمية للجمهورية التونسية ■

تعليق

ورد ضمن التحقيق عن « العقير » الذي ظهر في عدد جمادى الأولى ١٣٩٢هـ (يونيه ـ يوليه ١٩٧٢) من « قافلة الزيت » ما يلي :

« أم حويض » كما يدل عليها اسمها عبارة عن حوض هو في الواقع مصب لواد عظيم ينحدر من المناطق الرملية في الشمال ، ويتجه نحو الجنوب الشرقي فيشق مجراه بين التلال المحيطة بأم حويض حتى ينتهي الى البحر . وقد كانت هذه المنطقة قبل ربع قرن تقريبا أشبه بغابة كثيفة تسرح فيها المواشي والأبل تكلأ الهرم والغضا والعبل والحمض ، كما كانت تكثر فيها الوعول والقرود والظباء والأرانب .

والملاحظ أن هذه المدة قصيرة ، وربما كان المقصود هو قرن كامل . ■

راشد سعد هميم ـ الدمام

* * *

ذكرتم ضمن التحقيق عن « العقير » المنشور في عدد جمادى الأولى ١٣٩٢ (يونيه ـ يوليه ١٩٧٢) من « قافلة الزيت » ما يلي :

قال الحفصي : جرعاء مالك بالدهناء قرب « حزوى » ، وقال الشاعر ذو الرمة :

وما استجلب العينين الا منازل
بجمهور « حزوى » أو بجرعاء مالك

و « حزوى » ذكرها ياقوت عن الأزهري ، فقال : جبل من جبال الدهناء ، وأنشد لذي الرمة :

خليلي عوجا من صدور الرواحل
بجمهور « حزوى » فابكيا في المنازل

وقال شاعر :

ألا ليت شعري هــل أبيتن ليلـــة
بجمهور « حزوى » حيث ربتني أهلي

انتهى قولكم .

والذي نسمعه من كبار السن ، وهم يؤكدون قولهم ، بأن « حزوى » هو الاسم القديم لبلـدة « الحليلة » الموجودة حاليا بالأحساء ، وهذا الجبل يقع بالقرب من « حزوى » ، وليس هو « حزوى » بالذات . ويؤيد قولهم الأبيات الشعرية الواردة في المقال والتي سبق ذكرها وهي توضح أن لحزوى جمهور ومنازل ■

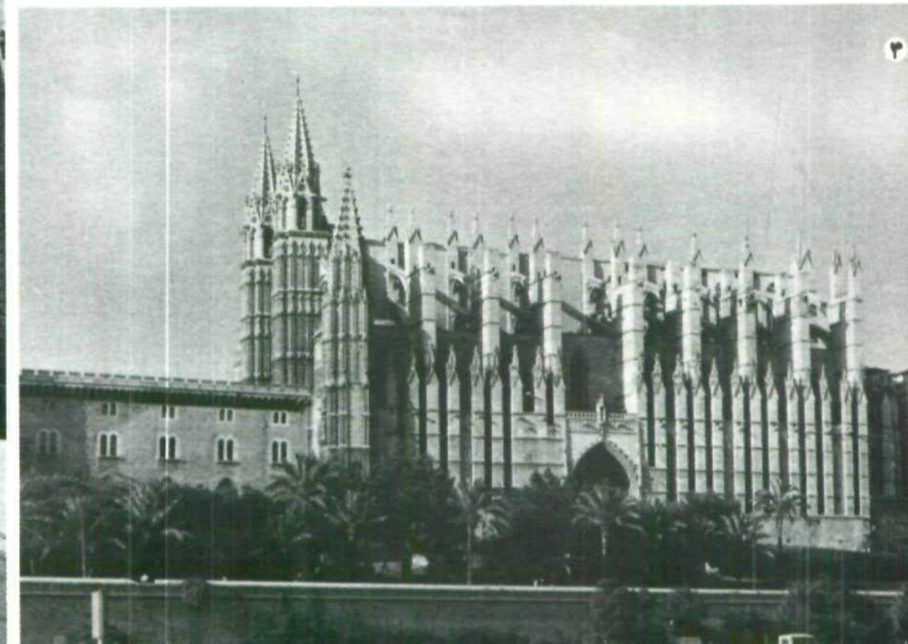
سالم علي الخليفة ـ الهفوف

جزيرة ومدينة ميورقة وآثارها الأندلسيّة

بقلم الاستاذ محمد عبد الله عنان









كانت جزيرة « ميورقة » ، كبرى الجزائر الشرقية ، أو جزر « البليار » ، في عهدها الاسلامي حديقة يانعة . وكانت عاصمتها مدينة « ميورقة »[1] ، من القواعد الأندلسية الزاهرة . وقد عرف العرب الجزائر الشرقية في عصر الفتح الأول ، وغزاها عبد الله بن موسى بن نصير سنة ٧٠٨م ، قبل افتتاح الأندلس بأعوام قلائل ، ولكن العرب لم يتغلبوا عليها ولم يحكموها يومئذ ، وانما وقع فتح الجزائر الشرقية الحقيقي ، بعد ذلك بنحو قرنين في عهد الأمير عبد الله بن محمد الأموي ، أمير الأندلس ، وذلك في سنة ٢٩٠هـ (٩٠٣م) . وكان افتتاحها على يد جمع من المجاهدين بقيادة عصام الخولاني ، وكان عصام قد حملته الرياح قبل ذلك ، وهو في طريقه الى الحج الى ميورقة ، فعرفها ، واختبر أحوال هذه الجزائر الغنية ، وأدرك سهولة فتحها ، وعرض مشروعه على الأمير عبد الله فأقره ، وأمده بالسفن والقطائع ، ولما وفق الى فتحها ، أقره الأمير على ولايتها ، فكان أول ولاتها من المسلمين . وحكم المسلمون الجزائر الشرقية الثلاثة من ذلك الحين ، وهي : « ميورقة » ، و « منورقة » ، و « يابسة » . وكانت تؤلف ولاية مستقلة تابعة لحكومة قرطبة الأندلسية ، ويقوم على حكمها وال يختاره الأمير . وكانت الجزائر بموقعها في وسط المياه الغربية للبحر المتوسط على أبعاد متقاربة من اسبانيا وايطاليا وفرنسا وأفريقية ، تكوّن مركزا هامـــا للمواصلات البحرية والمبادلات التجارية . وكانت في أحيان كثيرة ، تتخذ مركزا للغزوات البحرية الاسلامية لشواطيء فرنسا وايطاليا . ولما سقطت الخلافة الأموية الأندلسية ، وقامت دول الطوائف ، كانت مملكة « دانية » البحرية ، أقرب ممالك الطوائف الى الجزائر . ومن ثم فقد افتتحها مجاهد العامري ، أمير « دانية » ، وضمها الى مملكته وذلك في سنة ٤٠٥هـ (١٠١٤م) . وخرج مجاهد العامري بعد ذلك بأسطوله الكبير من الجزائر ، وافتتح جزيرة « سردانية » القريبة ، ولكنه لم يستطع الاحتفاظ بها ، ولما افتتح المرابطون الأندلس ، وضعوا يدهم على الجزائر ، وحكمها وال من قبلهم ، ثم حكمها بعد سقوطهم « بنو غانية » حينا ، وجعلوا منها مملكة مستقلة ، ولما تغلب الموحدون بعد المرابطين على الأندلس افتتحوا الجزائر ، وحكمها الولاة من قبلهم . واستمرت الجزائر تحت حكم المسلمين ، حتى وقـع انهيار الأندلس ، منذ أوائل القرن السابع الهجري ، وافتتح الجزائر « خايمي الأول » ملك « أراجون » بين سنتي ٦٢٦ و ٦٣٢هـ (١٢٢٩ – ١٢٣٥م) بعد أن دافع المسلمون عنها أشد دفاع ، وبعد أن حكمها المسلمون أكثر من خمسة قرون . ومع ذلك فقد لبثت جزيرة « منورقة » ، ثانية الجزائر ، وحدها تحت حكم المسلمين عصرا آخر . وحكمها العلامة الأديب أبو عثمان سعيد ابن حكم الأموي ، وولده من بعده ، بالتفاهم مع النصارى ، عصرا آخر ، حتى سنة ٦٨٦هـ (١٢٨٧م) ، ثم استولى عليها الأرجونيون ذلك العام ، وانتهى بذلك حكم الاسلام في الجزائر الشرقية .

ولما سقطت «ميورقة» في أيدي الأرجونيين ، غادرها معظم سكانها من المسلمين ، وقصد بعضهم الى القواعد الأندلسية الباقية بيد المسلمين في مملكة غرناطة ، آخر الممالك الاسلامية بالأندلس ، وقصد الكثير منهم الى الثغور المغربية ، وكتب الكاتب والشاعر الكبير المعاصر ، أبو المطوف بن عميرة المخزومي ، كتابه الشهير عن « كائنة ميورقة » ووصف فيها نكبة سقوطها في أيدي النصارى ، وهو كتاب لم يصل الينا ، ولكن نقلت الينا التواريخ اللاحقة بعض فقراته .

• • •

والآن فان الجزائر الشرقية ، تعتبر من أبهج المصـايف التي ينتجعها السيـاح الذين يزورون اسبانيا ، ويبلغ سكانهـا اليوم نحو أربعمائة ألف نسمة ، وجزيرة ميورقــة هي كبرى الجزائر حسبما قدمنا . وهي جزيرة غنية بالرقاع الخصبة ، بالرغم من طبيعتها الصخرية العامة ، ولذا فان معظم سكانها يحترفون الزراعة . ويجود بها القمح والكتان والفواكه ، ولاسيما التين والبرتقال والزيتون . وحدائقها الغناء ، هي أثر من آثار العرب الذين اشتهروا بالبراعة فـي الزراعة وغرس الحدائق اليانعة .

وعاصمة الجزائر هـي مدينة ميورقة أو « بالمادي ميورقة » حسبما تسمى بالأسبانية . وهي تقع في غرب الجزيرة على خليج ، يتخذ صورة القوس ، وفي منتصفه لسان يحمي الميناء ، وفي جانبه الأيمن تمتد المدينة فوق لسان طبيعي ، وفي شمال القوس وفي طرفيه ، تنساب أحياء المدينة الكبيرة ، وتبدو الجبال عن بعد ، تظلل البسائط الخضراء . وقد وصف ميورقة شاعر عصر الطوائف ، أبو بكر الداني المعروف بابن اللبانة ، حينما زارها في أواخر القرن الخامس الهجري ، وحظي لدى أميرها مبشر العامري ، بقوله :

بلد أعارتــه الحمامــة طوقها
وكساه حلــة ريشه الطـاووس

وميورقة مدينة ضخمة ، يبلغ سكانها اليوم ، نحو مائتي ألف نفس معظمهم من « القطلان » ، ويؤلف القطلان ، وهم أهل ولاية « قطلونية » ، الواقعة في شمال شرقي اسبانيا ، أغلبية بين سكان الجزائر الشرقية . ويلاحظ أن القطلان جنس أرقى مدنية ، وأكثر حيوية وانتاجا من الاسبان ، ولهم لغة وآداب خاصة . ومدينة « برشلونة » هي عاصمة قطلونية ، ومجمع القطلان ، وهي أعظم مدن اسبانيا التجارية والصناعية ، ويغلب عليها الطابع الأوربي ، أكثر من أيـــة مدينة اسبانية أخرى .

وتنقسم مدينة ميورقة ، حسبما أسلفنا الى قسمين . ويقع قسمها الذي يشغل طرفي القوس الممتد داخل الميناء ، فوق بقاع مستوية ، وتشقه شوارع وميادين ضخمة ، ويبدو عليها طابع المدنية والجدة . وأما القسم الآخر ، وهو الذي يشغل الوسط ، ويمتد من البحر نحو الشمال ، فيقع معظمه فوق مرتفع من الأرض ، يمتد صاعدا حتى يستوى في نهاية المدينة ، وتخترقه شوارع ودروب عديدة ضيقة ، يغلب عليها طابع العصور الوسطى ، وهذا القسم يمثل قبل كل شيء بقايا المدينة الأندلسية القديمة ، وبه توجد معظم معالم ميورقة الأثرية ومعظــم الأحياء التجارية .

وما زالت ميورقة تحتفظ بكثير من آثار العصر الاسلامي ، وان كانت هذه الآثار تكاد تغيض تحت أثوابها الحديثة . وما زال شارعها الرئيسي ، منذ العهد الاسلامي ، يخترق المدينة القديمة من وسطها ، وهو الذي يحتل اليوم مكانه من شارع « الفاتح الحديث – C. del Conquistador » و « الميـــدان الكبير – Plaza Mayor » ، ثم شارع « ميجل » حتى باب « البلياط » ، وهو أحد أبواب المدينة الاسلامية القديمة . وكانت أسوارها تحتوي على ستة أبواب ، منها « باب البلد » في الشرق ، و « باب الكحل » و « باب

---

١ – مدينة ميورقة وهي تعانق البحر بمينـائها المعكوف على شكل الهلال .

٢ – قصر المدينة الذي كان مركز الولاة المسلمين ، والذي شيد في بداية العهد الاسلامي ، وهو يطل من فوق ربوة على البحر .

٣ – الكتـدرائية الكبرى « لاسيو – LaSeo » أقيمت على أنقـاض جامع اسـلامي ، وهي تشرف على البحر من عل .

٤ – تكثر في مدينة ميورقة القلاع والقصور التي يغلب على بنائها الطابع العربي الأصيل .

الشراجب » في الشمال، وباب « برت بين » في الوسط ، و « باب الجديد » في الجنوب مما يلي البحر ، وقد دثرت هذه الأبواب جميعا ، وان كانت مواقعها ما زالت معروفة لدى علماء الآثار .

° ° °

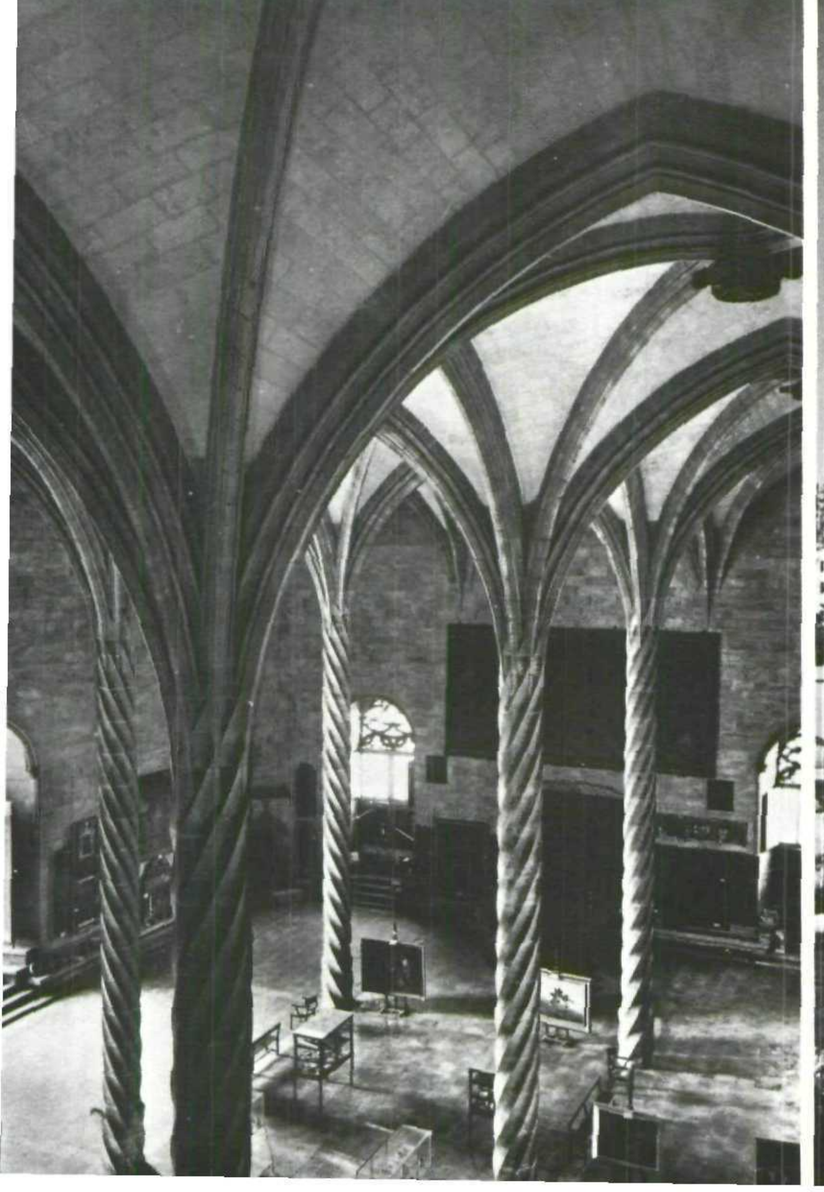
وأهم معالم ميورقة الأثرية هي كتدرائيتها ، وهي التي تقوم فوق موقع المسجد الجامع ، على مقربة من البحر ، تجاه قصر المدينة القديم . وتسمى هذه الكتدرائية « لاسيو — La Seo » ، وهي كنيسة عظيمة مبنية على الطراز القوطي ، وقد أنشئت عقب افتتاح النصارى لميورقة في أواسط القرن الثالث عشر الميلادي .

والأثر الثاني في ميورقة ، هو قصر « المدينة — Almudaina » وقد كان مركز الولاة المسلمين، وهو صرح قديم ضخم ، يقع قبالة الكتدرائية من ناحية الغرب ، وتدل واجهته العتيقة ، وبناؤه الوعر الحصين ، بأنه كان حصنا وقصرا ، في نفس الوقت ، والمعروف من تاريخه أنه شيد في بداية عهد المسلمين على أنقاض صرح روماني قديم ، واستمر مقرا للولاة المسلمين حتى سقطت ميورقة في أيدي النصارى ، وعندئذ غدا مقاما للملوك النصارى ، وأدخلت عليه تعديلات كثيرة ، حتى صار له وضعه الحاضر ، ولم يبق من أبنيته الأندلسية سوى القليل ، ومن ذلك نافذتان لهما عقود عربية ، وحوض نافورة عربي الطراز ، وهيكل عقد عربي في أعلى الجدار في أحد ممراته ، ويقع القصر على نفس الربوة التي تقوم عليها الكتدرائية ، ويحيط به من الناحية اليمنى سور حصين ، وفي نهايته برج قديم ، يرجع الى العصر الأندلسي .

هذا ، ولم يبق من أسوار ميورقة الأندلسية ، سوى الجزء الذي يقع جنوب الكتدرائية على البحر ، ويحمي ساحتها المطلة عليه ، والمسماة « بالمنظرة — Mirador » ، وقطعة أخرى تقع في الناحية الشرقية في الشارع المسمى « باب البحر » على مقربة من باب البحر القديم .



جانب آخر من قصر المدينة تحيط به الحدائق الغناء وبرك الماء ، وقد كان يوما مركزا لولاة المسلمين.



منظر داخلي لأحد أروقة متحف الصور قصر « اللونخا — Lonja» بميورقة ، وقد ازدان بالعقود العربية الطراز .

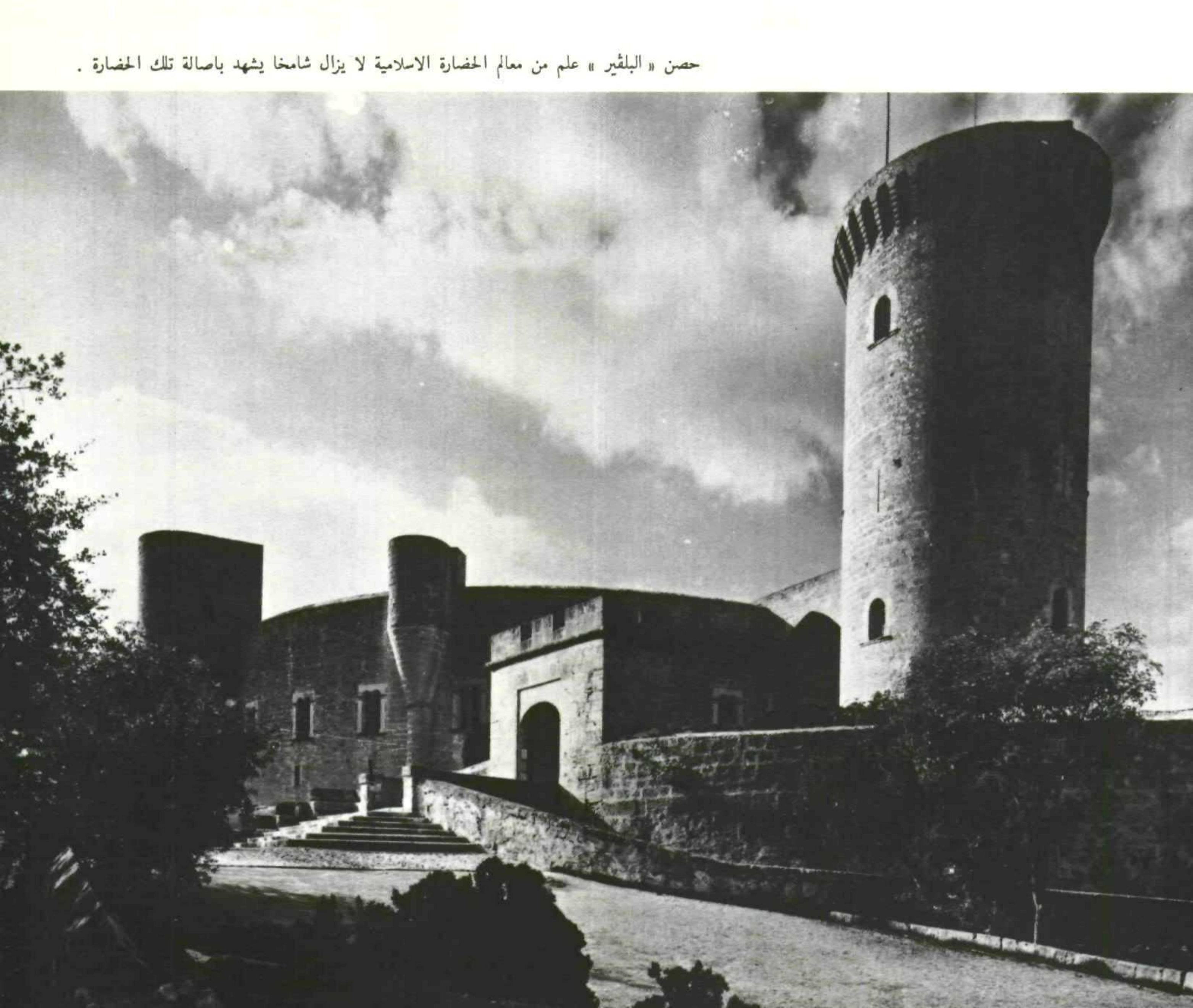
وكذلك لم يبق من عقود الأبواب الأندلسية القديمة سوى عقد « باب المدينة » ، وهو يقع في وسط شارع « المدينة – C. Almudaina » ، ويعتبر هذا الشارع الصخري العتيق من أقدم شوارع ميورقة . وهو بقية ظاهرة من المدينة الأندلسية ، حيث يبدو الطراز الأندلسي في شكله ، وفي منازله من الجانبين ، وفي أبوابها ذات العقود العربية ، ويفضي هذا الشارع الى شبكة من الدروب العتيقة ، وهي كلها من الطراز القديم ، وكلها تدلي بأنها كانت من أحياء المدينة الأندلسية القديمة .

وفي احدى هذه الشوارع العتيقة ، وهو شارع « سيرا – C. Serra » ، يوجد أثر أندلسي ، هو الحمامات العربية ، وهو بقية مشوهة من حمامات أندلسية يبدو عليها أثر الاحتراق ، وهي عبارة عن مربع في كل ضلع من أضلاعه ثلاثة عقود ، ويحتوي جميعا على اثني عشر عقد رفيعة ، وتعلوه قبة صغيرة ، وقد جردت من نقوشها بفعل النار ، والقول أن هذه الحمامات ترجع الى القرن الخامس الهجري أو الحادي عشر الميلادي .

ويحتفظ متحف ميورقة الأسقفي ، بشاهد قبر ، منقوش عليه بالكوفية اسم صاحبه المتوفى سنة ٣٥٧هـ ، كما يوجد فيه عدة لوحات خشبية كبيرة زينت بنقوش مدجنية ، وعدة أطباق خزفية مذهبة ترجع الى العصر الموريسكي .

ويحتفظ متحف الصور بميورقة المسمى « باللونخا – Lonja » بصورة رسمت بريشة « سوريانو موريليو » ، وهي تقدم الينا منظرا مؤثرا يمثل أبا عبد الله محمد ، آخر ملوك الأندلس وهو سائر في ركبه ، بعد أن غادر قصر الحمراء ، ومعه أمه وزوجه وابنته ، على مقربة من غرناطة ، في الموضع الذي يسمى حتى اليوم « زفرة العربي الأخيرة – Ultimo Sospiro del Moro » ، وهو يبكي وأمه

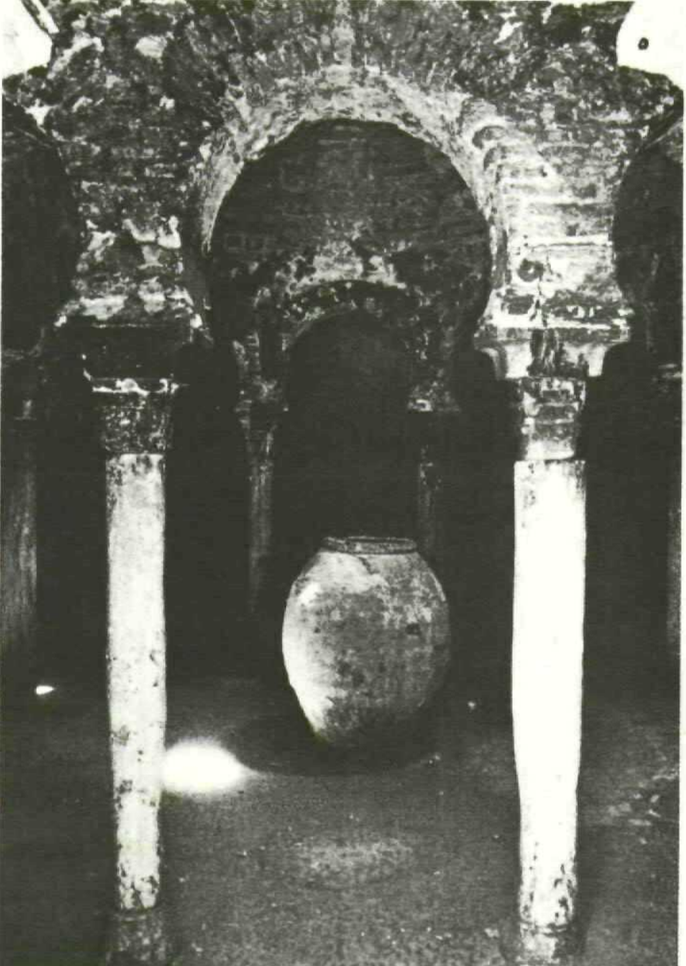
حصن « البلڤير » علم من معالم الحضارة الاسلامية لا يزال شامخا يشهد باصالة تلك الحضارة .



٢

١

٣



١ – برج لأحد القلاع المنتشرة في ميورقة .

٢ – لم يبق من العقود التي كانت منتشرة في ميورقة سوى القليل ، ويقع عقد باب المدينة هذا على شارع مبلط بالحجارة يعتبر من أقدم شوارع المدينة ، ويقع في وسطها .

٣ – منظر داخلي لمنزل « أوليسا » ، ويبدو عليه الروعة المعمارية ذات الطابع العربي .

٤ – منظر خارجي لمتحف الصور بميورقة المسمى قصر « اللونجا – Lonja » ، تحف به أشجار النخيل الباسقة من كل جانب .

٥ – هذه العقود هي بقية الحمامات العربية التي كانت منتشرة في الأندلس ، ويرجع عهدها الى القرن الخامس الهجري .

عائشة تنحو عليه باللائمة : « لأنه يبكي كالنساء ملكا لم يستطع أن يدافع عنه مدافعة الرجال » .

وقد أطلعنا في دار المحفوظات بميورقة ، على وثيقة مكتوبة بالعربية واللاتينية والقطلانية ومحررة في سنة ١٢٣٢م ، وهي عبارة عن عقد ، أو اتفاق بتقسيم أراضي ميورقة بين زعماء النصارى الفاتحين ، عقب الفتح ، وتتكوّن هذه الوثيقة من تسع ورقات كبيرة مستطيلة ، وتبدأ كل صفحة منها بالعربية ، وأمامها مقابلها باللغة اللاتينية ، ثم باللغة القطلانية ، وتعرف هذه الوثيقة في تاريخ ميورقة بكتاب « تقسيم ميورقة – Libro del Repartimiento » وتعنى هذه الوثيقة بذكر الأقسام والرباع المختلفة في مدينة ميورقة ، وما حولها من الأراضي وما خص به كل زعيم منها . والمهم في هذه الوثيقة ، انها تلقي أكبر ضوء على خطط المدينة الاسلامية ، وعلى أسماء أحيائها الأندلسية القديمة مثل : ورحى الشجر ، ورحى الدب ، ورحى اللوزة ، ورحى ابن مدرك ، وجنان الطرطوشي ، ورحل بشير .. الخ .

والى جانب هذه الأسماء العربية لأحياء ميورقة الأندلسية ، فانه توجد الى اليوم بجزيرة ميورقة عدة بلاد وقرى بأسمائها العربية ، مثل بني سالم ، وبني عبد السلام ، والكدية ، وبني علي ، وغيرها ، كما توجد أسماء ميورقية كثيرة ترجع الى أصول عربية .

ومما هو جدير بالذكر أن ميورقة قد ساهمت في عهدها الاسلامي مساهمة قوية في الحركة الفكرية الأندلسية ، ونبغ فيها كثير من العلماء والأدباء . ونستطيع أن نذكر من هؤلاء يوسف ابن عبد العزيز بن علي اللخمي الميورقي ، وهو من أقطاب الفقه المالكي ، وقد عاش في أواخر القرن الخامس الهجري ، ومحمد بن سعدون ابن مرجا بن سعد القرشي العبدري الميورقي المتوفى سنة ٥٢٤هـ ، وقد كان من أقطاب المذهب الظاهري ومن أكابر الحفاظ . ونبغ من أقطاب اللغة علي بن أحمد بن عبد الغزيز ابن طير الانصاري الميورقي المتوفى سنة ٤٧٧هـ .

ونبغ بالأخص في ميدان الشعر ابن عبد الولي الميورقي من شعراء القرن السادس الهجري ، وكان من أساتذة الموشحات ، واشتهر من شعره قوله :

هل أمان من لحظك الفتان
وقوام يميل كالخيزران
مهجتي منك في جحيم ولكن
جفوني قد متعت في جنان
فتنتي لواحظ ساحرات
لست أخشى من فتنة الشيطان

واشتهر في ميدان العلم والأدب ، أبو عثمان سعيد بن حكم القرشي ، وان كان أصله من ولاية الغرب ، ولكنه حكم جزيرة ميورقة ثانية الجزائر عصرا ، حسبما قدمنا ، وكانت في أيامه مقصد العلماء والأدباء من سائر الأنحاء .

تلك آثار المسلمين والعرب في تلك الجزر الواقعة في وسط المياه الغربية للبحر المتوسط ■

محمد عبدالله عنان – القاهرة



المطاحن الهوائية تنتشر بكثرة في ميورقه ، ومن حولها الحصون الأثرية .